

الليلة التي أمضاها ثوروفي السجن

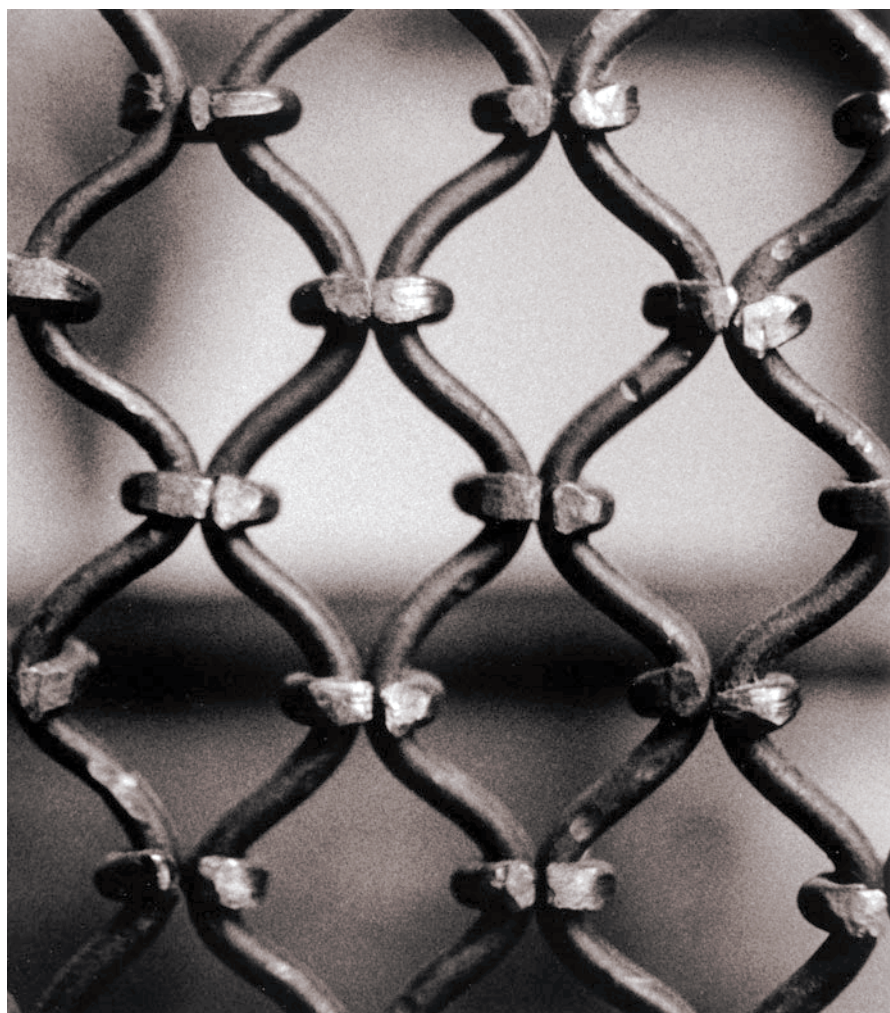
(مسرحية)

تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي

ترجمة حسن كامل بحري

وتقديم: د. محمد مبارك بلال

مراجعة:



إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب



إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب



الليلة التي أمضاها ثوروفي السجن (مسرحية)

تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي

ترجمة وتقديم: حسن كامل بحري

مراجعة: د. محمد مبارك بلال



تمَّ ر كل شهرين

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:

بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:

د. زبيدة علي أشكناني

د. سعاد عبد الوهاب عبد الرحمن

د. سليمان خالد الرياح

د. سليمان علي الشطي

د. ليلى عثمان فضل

د. محمد المنصف الشنوفي

سكرتيرة التحرير

لمياء القبندي

التنفيذ والإخراج والتنفيذ:

وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

:E.Mail

ebdaat_alamia@yahoo.com

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج 500 فلس
الدول العربية الأخرى ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد 10 دك
للمؤسسات 20 دك

دول الخليج

للأفراد 12 دك
للمؤسسات 24 دك

الدول العربية الأخرى

للأفراد 25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات 50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد 50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات 100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل

على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٠٦٧

ردمك: ٩٩٩٠٦-٠-٢٤٦-٣

• «الليلة التي أفضاها

ثورو في السجن»

(مسرّجية)

العنوان الأصلي:

The Night Thoreau Spent In Jail

by: Jerome Lawrence & Robert E. Lee

دار النشر:

Hill and Wan

A division of Farrar, Straus and Giroux

New York

2000

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008م

إبداعات عالمية - العدد 373

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدوان

(1990 - 1923)

white

المقدمة

عرفت مدينة كونكورد في الولايات المتحدة نشاطا فلسفيا وأديبا لافتا في بدايات القرن قبل الماضي، حيث خرج منها عدد من الشعراء والفلاسفة عرفوا بالشعراء الرمزيين والفلاسفة الترانسندنتاليين. كان من بين هؤلاء بطلا مسرحيتنا الرئيسان دافيد هنري ثورو و والدو إمرسون. إمرسون هو أول من وضع أسس هذه الفلسفة التي تحمل الكثير من الفلسفات الشرقية وتأثيراتها، ولنا حجة على ذلك في جل ما كتباه. ولفهم خلفية هذه المسرحية، لا بد من إلقاء بعض الضوء على بطلها:

ولد رالف والدو إمرسون في بوسطن عام ١٨٠٣، وبرز اهتمامه بالشرق وفلسفاته منذ كتاباته الأولى. ويرجع النقد ميله إلى الشعر الرمزي والفلسفة الترانسندنتالية لأكثر من سبب، أولها عجزه عن دحض عقلانية القرن الثامن عشر في بلاده، هذه العقلانية التي قابلها مزاجه المثالي بالرفض، ولم تحظ برضاه مدرسة لوك وهيوم للتحليل النفسي السلوكي المسيطرة وسط مثقفي عصره، كما لم يجد في الكنيسة ضالته في الإجابة عن أسئلة اهتمت في سيرته. تداعت أرضية الأديان القديمة وصارت الليبرالية التوحيدية مدرسة أرثوذكسية ضيقة الأفق ومملة، فوجد

مراده في الشرق، في الفلسفة الهندوسية، وعند المتصوفة المسلمين، فانكب يروي عطشه ويمتح أفكاره منها.

وفي عام ١٨١٧ ولد مريد وتلميذ إمرسون، الشاعر والفيلسوف هنري دافيد ثورو، الذي تعرف على إمرسون عام ١٨٣٧. وفق كاتب سيرتي حياتيهما وصديقهما فرانكلن سانبورن فإن إمرسون هو من لفت انتباه ثورو إلى الشرق وفلسفاته خلال الفترة التي قضاها ثورو مقيما في منزل إمرسون. وسرعان ما نسمع ثورو يقول: «كم هي مثيرة المشاعر النبيلة في بطون المخطوطات القديمة عند هوميروس، وذاندا فيستا وكونفوشيوس! لحن موسيقى يحمله لنا نسيم الزمن... قيمها النبيلة تقربها منا وتجعلنا نصغي إليها»، بعدها يمضي ثورو بقية حياته يقرأ هذه الفلسفات ويعلق عليها. وكتب ذات مرة «إن عبارة واحدة من الفيدا أثمن من ولاية ماساشوتس بمرات كثيرة»، بالإضافة إلى هذه التعليقات الانطباعية كتب تعليقات أخرى عميقة ومتروية جدا.

جمعت الرجلين صفات مشتركة، لكن استعداداتهما الطبيعية وتجاربهما العمرية المختلفة قادتهما إلى غايات ومواقف متباينة، فاستشرافية إمرسون تنضح بمثيولوجية انتقائية، وضع نظريات في الفن والشعر والسلوك الحياتي. في حين لم يكن ثورو صانع عقائد، إنما دائم البحث عن

إدغام نفسه وتوحيدها كلياً مع الطبيعة، قراءات إمرسون تهدف إلى المماثلة والتوفيق أو في حدها الأقصى إدخال تعديلات طفيفة على خطوط مكتشفة ولا يعرف فتوحاً ريادية.

للمدارس الصوفية الإسلامية وفلاسفتها بصمات واضحة على إبداعات وتفكير الرجلين اللذين لم يخفيا إعجابهما بها في أكثر من مكان.

تستحوذ الطبيعة على ثورو، ولها مكان مهم في إبداعه. أما صديقه إمرسون فكان مسيحياً على صعيد الممارسة، وأوجد لنفسه توليفة بين الطوبى المسيحية والأحدية الشرقية واستعداده لا يضاهى لمزج عبارات من الشرق وفلسفاته مع عباراته.

بخصوص الدولة وشؤون الحكم لم يكن ثورو كونفوشيوسياً مسالماً، بل كان داعية كبيراً للعصيان المدني على خلاف إمرسون، داعية مذهب الامتثالية الذي وجد عند كونفوشيوس - فيلسوف الصين العظيم - تسويغاً لسلوكه ومواقفه.

احتقر ثورو العادات المتأنقة والتمسك بالرسميات والشعائر، في حين كان إمرسون يراعيها جميعاً بل يحرص على التمسك بها.

تجاذبت ثورو ثلاث شخصيات: ثورو محب الطبيعة، وثورو

الثوري المتمرد، وثورو الكونفوشيوسي. وبقي إمرسون اتساقيا سلوكيا حملت كلماته تلاوين أفلاطونية براهماتية، لم يهتم ثورو بواقع العالم بل بإمكانه، والخلاص ليس بقبول هذا الواقع بل بالاكْتساب والتغيير.

فلسفة إمرسون عالمية وثقافته إنسانية شمولية، بينما حمل ثورو جذوة التمرد وحلم الثوري، حيث قال ذات مرة إن أفكاره دوما تخطيط ضد الدولة. أخذ ثورو الكثير من الشرق وقدم له أيضا الكثير، كتب أبحاثه المشهورة ومنها «العصيان المدني» و«العيش دون مبادئ»، وعندما تبنى الماهاتما غاندي ما جاء فيها صارت شعارا لعشرات الملايين من البشر.

ذكر رومان رونالد في كتابه حول الماهاتما غاندي أن الماهاتما لم يكن يخطط للعصيان المدني منذ البداية، وكان لكتابات ثورو أثر كبير في تبنيه له. كتب الماهاتما في يوليو من عام ١٩٢٠ في افتتاحية لصحيفة «الهند الفتاة»، يقول: «إن ثورو وأمثاله من الرجال هم الذين أحدثوا إلغاء الرق عبر مثلهم الشخصية».

وذكر في مكان آخر أنه تعرف على كتابات ثورو عام ١٩٠٧ خلال فترة المقاومة السلبية، وإن مقال «العصيان المدني» ترك كبير الأثر في نفسه فترجمه ونشر معظمه.

جُبلت روحه لمجتمع أكثر نبلا واستنفد في حياته القصيرة إمكانات العالم، نراه يجد منزلا له حيثما كانت

المعرفة والفضيلة والجمال، وفق ما يقول كاتب سيرة حياة
ثوروروبرت ستيفنسون عن بطل المسرحية الرئيس دافيد
هنري ثورو.

كتبت المقدمة بالاستفادة من كتاب: «The Orient in
American Transendentalism» BY Arther Ghristy
والاقتباسات الواردة أخذت من هذا الكتاب بعد ترجمتها من
قبل المترجم.

white

نبذة عن المسرحية

يرفض ثورو دفع الضرائب لحكومة بلاده احتجاجا على سياستها تجاه الرق وحربها ضد المكسيك، البلد الجار الصغير الضعيف، واحتجاجا على قضايا أخرى اعتبرها غير مشروعة في زمانه. دخل السجن ضريبة لمواقفه، فهل غير السجن هذه المواقف؟

الليلة التي أمضاها ثورو في السجن تقدم لنا ثورو في زفزانته والظروف المحيطة، يسترجع ماضيه ومواقفه ليكتشف ذاته من جديد. نتعرف على علاقته وتأثره بالشاعر والفيلسوف إمرسون ونصغي لسجلاتهما. كل مشهد من المسرحية يضيء جانبا من شخصية بطلها ثورو، ليس كشاعر وفيلسوف، بل ذلك الكائن البشري بضعفه وكبريائه وقوته. نلمس إعجاب هنري ثورو بشخصية والدو إمرسون وتأثره العميق بأفكار هذا الفيلسوف الذي يطرح آراءه حول مختلف القضايا الإنسانية والمهمة، لكنه في مواقفه العملية يميل إلى الانسجام والتناغم مع الموجود باحثا عن حياة رغيدة هادئة، في حين يتبنى هنري هذه الأفكار ويعتبرها برنامج عمل له، يحفظها عن ظهر قلب ويطالبه بممارستها لاعتقاده أنها يمكن أن تغير ما حوله ومن حوله. فيتدرع هنري بأفكار والدو في مواجهة وقائع الحياة السياسية لعصره ومشاكله،

إلى درجة أننا نرى والدو يخاطب هنري في إحدى اللحظات قائلاً «أحياناً أعتقد أنني اخترعتك يا هنري، أو على الأقل ألهمتكَ، لأنك تعيش ما أتحدث عنه، أنا لا أستطيع الوجود بطريقتك يا هنري، أنا أحب إحضار الخبز المحمص الساخن والشاي والبيضضة نصف المسلوقة على صينية إلى فراشي كل صباح لكنني معجب بك يا هنري... أنت أخلاقي الماشية!». يصدق هنري خطاب والدو إمرسون، حكيم كونكورد، الإنسانوي، فيتمرد ويعلن نفسه حراً لا يخضع لإرادة أحد. يمتد إعجاب هنري الشاب المتمرد بوالدو إلى زوجته ليديان، إعجاب يمتزج فيه الحب والاحترام، وإلى ابنيهما الصغير إدواردو.

يمارس هنري فلسفته الخاصة، يدرس المناهج المدرسية بطريقة تختلف عن المقررات، يحاول تعليم التلاميذ الحرية الشخصية من دون تقييد لتفكيرهم حتى مجيء ناظر المدرسة ليكون بول، هذه الشخصية التي تجسد المؤسسة وسلطتها، يوجه ليكون بول ملاحظاته وينتقد أسلوب هنري في التعليم، يتهمة بالابتعاد عن المقررات وعدم تعليم التلاميذ الخضوع والطاعة، هذه الصفة التي يراها أساسية يجب أن تتوافر لدى جميع المرؤوسين، يطالبه بجلد التلاميذ. يقدم هنري على جلد التلاميذ خشية العقوبة والفصل من المؤسسة، لكنه يغادر هذه المدرسة ويشكل مدرسته الخاصة،

يدرس تلاميذه بأسلوبه الخاص في أحضان الطبيعة، خلال أحد الدروس يتعرف على الأنسة إيلين التي تُسمى هنري «السحابة الراحدة».

في السجن نلتقي مع سجين آخر بيلى الذي ينتظر محاكمته ولا يريد القيام بأي شيء خشية أن ينعكس ذلك سلبا على قرار القاضي. هذه الشخصية ساذجة وجاهلة، بصعوبة تعرف ما يجري حولها، فما بالك أن تعرف الصحيح لفعله؟

عندما يتعرف بيلى على هنري يشعر بفرح كبير لأنه التقى مثقفا وكاتبا.

يعلمه هنري كيف يكتب اسمه، ليكون موضع فخر لأمه بعد خروجه من السجن.

ونتعرف على شخصية العبد الأبق وليمز الذي يريد الهروب إلى مكان أكثر حرية للعبيد، يصرخ ملء صوته أنه لا يريد أن يكون عبدا. هنري أول شخص يناديه «يا سيد»، ويطلب منه أن يختار اسما خاصا له وألا يخجل من لونه، فالعبودية ليست للون، بل إن الإنسان المصفود إلى عشر ساعات من الدوام اليومي هو عبد للعمل، ويقول له «يجب أن تبحث عن مكان للعيش حيث يفكر البشر بأنفسهم كبشر وليس كبيض».

نلتقي أيضا بشخصية الشرطي سام ستابلز الذي يجد

صعوبة في إقناع هنري بدفع الضريبة المستحقة عليه، ويضطر في النهاية لإلقاء القبض عليه غير راغب في ذلك، لكن خوفا من القانون. وقبل أن يوقفه يحاول سام أن يدفع الضريبة عنه، فهي مبلغ صغير، لكن هنري يرفض بشدة، المسألة قضية مبدأ، وليست عوزا للنقود، خلال حوارهما يتجمع السابلة حولهما يطالبون الشرطي بتوقيف هنري. يقول الشرطي له «أنا لم أعرف رجلا أشرف منك يا هنري»، لكنه يوقفه بعد جدل مع من تجمعوا حولهما من المواطنين، إنه موقف يذكرنا بالأكثرية التي أقرت إعدام الفيلسوف سقراط.

وهناك شخصيات عديدة أخرى ترد في المسرحية، منها شخصية الأم - أم هنري - وجون - شقيق هنري - وخالته أيضا، شخصيات تغني الحدث وتزيده تنوعا لنكتشف جوانب ثانوية لكنها مهمة في شخصية هنري ثورو.

تنوزع المسرحية على فصلين، في المشاهد الأخيرة من الفصل الثاني يتوصل هنري إلى إقناع والدو وإمرسون باتخاذ موقف وإعلانه في الساحة العامة أمام الناس من أهل المدينة. يسبقه هنري إلى الساحة العامة لجمع الناس والتحضير للحدث، يتجمهر المواطنون، يتخلف والدو عن الموعد، يزداد إحباط هنري ويهاجم صنمه، يصرخ «كيف نخلق صوتا؟ كيف نكسر هذا الصمت اللعين؟».

المشهد التالي في الزنزانة، يلقي هنري بجسده محبطا

على السرير، يبدأ حلما أشبه بكابوس من كوابيس غويا، هلوسات سريالية، يختلط المكان والزمان، وتتشوه الأصوات... تفلت شخصيات المسرحية من أدوارها، تأخذ أدوارا مختلفة. والدو في دور الرئيس الأمريكي، وسام مديرا للقوات العسكرية، ويرتدي ناظر المدرسة برة جنرال عسكري وشرائط مذهبة، والمشهد مشهد حرب وقتل، الجميع يعلم الكراهية ويحض على القتل... تتتابع الأحداث لنسمع في نهاية المسرحية قرع طبل مختلفا. بتصميم يقفز هنري من منصة المسرح ليلحق ضربات طباله الخاص والمختلف. تنتهي المسرحية، ستارة غير مسدلة، الإضاءة ساطعة، وصدى طبل هنري يزداد تمايزا وقوة.

ففي السجن يكشف هنري عن مواقفه المعارضة للحضارة المادية والرتابة والتقييد الاجتماعي، لكن في نهاية ليلته هذه يقرر مواجهة الحقيقة والبشر الفعليين بدلا من تجاهلهم. قام المؤلفان بتجريد أحداث تلك الفترة من إقليميتها وعصرها ليعطيها طابعا كونيا مشتركا، بحيث يعكس موقف ثورو وينسجم مع مواقف شباب اليوم، من طلابه ومثقفيه، رفضا للحروب وتشويه الإنسان لتسود الآلة وتدمر البيئة، كل ذلك ضمن تتابع سلس للحدث والأحداث فيها، تصرخ بنا علنا نتوقف لحظة عن الدوران حول ذواتنا لننظر خارج هذا القصف إلى العالم بكليته لنجعله أجمل وأبقى.

white

ملاحظات كاتب المسرحية حول إنتاجها

ما يعطي المسرحية شكلها، هو قرار ثورو بالعودة إلى الجنس البشري، أي انتقاله من حالة الانسحاب بعيدا عن البشر تجاه العودة إليهم، ورحلته من الزهد إلى الوعي الاجتماعي. هذا هو النص الضمني الذي يسري داخل المسرحية، وعلى المخرج والممثل أن يكشفوا هذا التطور حتما، وبشكل بطيء مثل زهرة تتفتح.

كانت الليلة التي أمضاها ثورو في السجن تجربة صوفية غامضة بالنسبة إلى هذا الرجل ذي الحساسية البالغة، فبينما كان يرنح في السجن كانت له حرية استكشاف ذاته الحقيقية، وحقيقة تجاربه بالإضافة إلى الماضي واستشراف المستقبل، وهذه التجربة هي نوع من الوجد، «العاطفة»، والكشف والتلخيص لحياته على المنحنى الزمني الذي يبدأ بغروب الشمس وينتهي بشروقها.

ثورو الذي تقدمه هذه المسرحية ليس ذاك الرجل الملتحي، ذي العينين المتعبتين، الذي نراه هذه الأيام على الطوابع البريدية، بل هو هذا المعاصر المتألق، حليق الذقن والمفعم بالنشاط والنقمة على جنون حضارته وتفاهتها من حوله. وغرض هذه المسرحية الوصول إلى أعماق من الكلمات التي كتبها، لسبر الاضطراب العظيم الذي غرف كلماته منه.

إذا ما كان ثورو ثوريا، فإن ثوريته كانت بتلك الروح التي تمتع بها قبله بأربعة عقود أولئك الذين تخيلوا ولايات متحدة لا يحظى فيها الحفاظ على النظام القائم بأي قداسة تتعدى

قداسة التغير الحلزوني المرجو. وخلال الليلة التي قضاها ثورو في السجن، أدرك أن أنشودة والدن Walden الرعوية كانت قد فعلت فعلها فيه، وشروق الشمس ينخسه بتحديات جديدة. وأفضل ما يمكن عمله لدى تقديم هذه المسرحية هو الأخذ بنصيحة ثورو نفسه: «بسطاً»، فبقدر ما يمكن الحذف مما هو جسدي وملموس، بقدر ما يستطيع جمهورك الإسهام أكثر في عملية التخيل، فهذه المسرحية ليست عرضاً مملاً لحياة إنسان واحد في مكان واحد وخلال ليلة واحدة، ونحن لسنا مقيدين بـ «الFLASH باك» أو عمليات «الاستذكار». ولا بد من تشجيع جميع شخوص المسرحية، بمن فيهم النظارة، على المشاركة في وليمة التخيل هذه، إن الثورية هي ما يجب أن يأتي به إلى المسرحية كل من يتعامل معها، وهي أيضاً ما يجب أن يستمدّه منها، بوصفها شيئاً يخصه على نحو فريد.

جيروم لورنس وروبرت إي. لي - ١٩٧٠

نبذة عن كاتب المسرحية

جيروم لورنس

ولد جيروم لورنس في أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من كبار كتاب المسرح ومخرجيه. وبالتعاون مع الكاتب روبرت لي أبدعا أعمالا فنية رائعة كتابة وإخراجا للمسرح الأمريكي، ومن بين هذه الأعمال «وريث الريح» و«الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» التي جرى عرضها للمرة الأولى في ولاية أوهايو لتصبح بعدها «المسرحية الأوسع إنتاجا لعصرنا». وفق أحد النقاد.

حصل جيروم لورنس وروبرت لي على أعلى الجوائز قدرا في المسرح، من بينها جائزة دونالدسون وجائزة أوهايو وفاريتي كريتيكس بول في لندن ونيويورك، وكذلك جائزة الإنجاز على مدى الحياة من جمعية المسرح الأمريكي. كما شغل لورنس مركزا في مجلس مديري مسرح كونسرفاتوري الأمريكي ومسرح ريبيراتواتوري الوطني ونقابة الدراميين بالإضافة إلى نقابة الكتاب ونقابة المؤلفين الأمريكيين.

وشارك في تأسيس «مسرح كتاب المسرح الأمريكيين» كما أنه ضمن أعضاء لجنة التحكيم في «جائزة جونز مارغو» التي كان قد شارك في تأسيسها.

يعمل أستاذا زائرا في جامعة ولاية أوهايو، ويزور جامعات أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، ويجول في العالم كداعية للتبادل الثقافي بين الشعوب. ويعيش حاليا في كاليفورنيا.

روبرت إي. لي

درس في أوهايو وجامعاتها وكفل لنفسه مكانا رفيعا مع جيروم لورنس في تاريخ المسرح الأمريكي عبر إبداعاتهما المشتركة في ميدان التأليف والإنتاج ووصل عدد المسرحيات التي أنتجها إلى ثلاثين عملا، وكرس حياته التزاما بالمسرح الجديد ودعم الكتاب الجدد، وترجمت أعمالهما المشتركة إلى أكثر من ٣٢ لغة. وفي عام ١٩٩٠ سمى لي ولورنس زميلين للمسرح الأمريكي في مركز كندي. توفي روبرت لي في ٨ يوليو ١٩٩٤ في لوس أنجلوس.

المترجم: حسن بحري

كلمة لا بد منها

تتناول مسرحية «الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» حالة العصيان المدني الأول في التاريخ الأمريكي وربما الأكثر شهرة - رفض ثورو دفع ضريبة الرؤوس، وهي ضريبة تفرض على كل شخص بالغ - عام ١٨٤٦، والليلة التي أمضاها في السجن بسبب هذا الرفض.

يصير مشهد السجن إطارا عاما لتلك الفترات المملوءة بالأحداث من حياة ثورو: من علاقته بالشاعر إمرسون، إلى اعتكافه للتأمل على ضفاف بحيرة والدين Walden Pond وقضية حبه غير الموفق.

وكما يقول لورنس ولي عن المسرحية إنها حكاية «الترحال الطويل لروح إنسان خلال ليلة واحدة» من اعتكافه وتنسكه حتى انضمامه من جديد إلى الجنس البشري. إنها نشوة وعاطفة وتجوّال. دفاع عن المعارضة اللاعنافية وبحث عن الحقيقة الشخصية. ويعد دافيد هنري ثورو بطلا شعبيا بين شباب اليوم، فلقد صرخ ضد الحرب وضد تلويث الطبيعة وضد سطوة المادية. ويشبه رفضه دفع الضريبة لدعم ما كان يعدّه حربا لا أخلاقية «الحرب مع المكسيك» إلى حد كبير صرخات شباب اليوم في أمريكا والعالم أجمع.

إن «الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» هي المسرحية الثالثة عشرة التي أنتجها جيروم لورنس وروبرت لي.

white

مقدمة المترجم

إن الشخصيتين الرئيسيتين في مسرحيتنا هما الفيلسوفان والشاعران هنري دافيد ثورو ووالف والدو إمرسون، ولذلك لابد من أن تكون المقدمة حول الرجلين وحياتيهما.

عرفت مدينة كونكورد في إنجلترا الجديدة نشاطا فلسفيا وأدبيا لافتا في بدايات القرن الماضي. إذ خرج منها عدد من الفلاسفة والشعراء دعوا بالشعراء الرمزيين والفلاسفة الترنسندناليين، كان من بينهم بطلا مسرحيتنا هذه، ثورو وإمرسون. بل إن إمرسون هو من وضع أسس هذه الفلسفة هناك، وتلاحظ بصمات الفلسفات الشرقية على كل ما كتبه. وفهم خلفية مسرحيتنا هذه «الليلة التي أمضاها ثورو في السجن» لابد من إلقاء بعض الضوء على بطليها الرئيسين:

في عام ١٨٠٣ ولد رالف والدو إمرسون في بوسطن، وظهر اهتمامه بالشرق وفلاسفته. وكان الفضل في ذلك لعمته التي أثارت فضوله في هذا الاتجاه، حيث شكلت هذه الفلسفات أرضية لفلسفته الترانسندنالية وشعره الرمزي، وذلك لأكثر من سبب: أولها عجز إمرسون عن دحض عقلانية القرن الثامن عشر في بلاده، هذه العقلانية التي كان يرفضها مزاجه المثالي. وكانت مدرسة التحليل النفسي السلوكي للوك وهيوم هي المسيطرة في تلك الحقبة. فلم تكن لتحظى برضاه، ولم يجد في الكنيسة الحل المنشود. فلقد تداعت أرضية الأديان القديمة. وصارت الليبرالية التوحيدية Unitarian liberalism أرثوذكسية عادية وضيقة. نتيجة ذلك كله وجد

إمرسون في الفلسفة الهندوسية والمتصوفة المسلمين ملاذا له ومنهلا لأفكاره.

وفي عام ١٨١٧ في ماساشوتس في مدينة كونكورد ولد مريد وتلميذ إمرسون الفيلسوف والشاعر هنري دافيد ثورو. وقد تعرف ثورو على إمرسون عام ١٨٣٧، كما يقول كاتب سيرة حياتيهما وصديقهما فرانكلين بنيامين سانبورن. وكان إمرسون أول من لفت انتباه ثورو إلى الشرق وكتاباتهِ وذلك خلال الفترة التي قضاها ثورو في منزل إمرسون عام ١٨٤١ ونرى ثورو يقول: «لكم هي مثيرة المشاعر النبيلة في المخطوطات القديمة عند هوميروس وذاندا فيستا، وكونفوشيوس! إنها لحن موسيقى يحمله لنا نسيم الزمن... فقيمها النبيلة تقربها منا وتجعلنا نصغي إليها».^(١)

ويصف تأثير الكتب الهندوسية المقدسة فيه في تلك الفترة: «لا يمكن أن أقرأ جملة واحدة في الكتب الهندوسية من دون أن أحلق فوق نجود ghaut. فأيقاع كلماتها كأيقاع رياح الصحراء، كمد نهر الغانج فهي متعالية على النقد علو جبال الهملايا.... فلا وجود لفكر عظيم في رداء وضيق، إنها أفكار تسمو باللغة التي ترتديها».^(٢)

ونرى أن اهتمام ثورو بالشرق وفلسفاته جاء بعد اهتمام إمرسون. حيث لم يطلع ثورو على هذه الكنوز خلال سنواته في جامعة هارفرد. «وعندما امتلك حرية العيش في مكتبة إمرسون، كان أشبه بإنسان استبد به العطش ووجد عين ماء عذب في صحراء».

1- thoreau. journal 1.55

2- Ibid I -166

وبعد ذلك أمضى العقدين المتبقين من عمره في قراءة هذه الفلسفات والتعليق عليها. ويكتب ذات مرة عن الفيدا (كتب الهندوس المقدسة الأربعة) «إن عبارة واحدة منها (الفيدا) لهي أثنى من ولاية ماساشوتس بمرات كثيرة»^(٣). لكنه بالإضافة إلى هذه التعليقات الانطباعية كتب تعليقات عميقة جدا. فعندما قارن بين الدين والفلسفة العبرية مع دين وفلسفة الهندوس، قال إن الأولى «قبلية، أشد فضاظة ووحشية» في حين تعكس الثانية «رقة ونقاء حضاريا وذهنيا»^(٤)، الحقيقة عند الهندوس تمرين ذهني، ليست حقيقة عملية اجتماعية، إنها معرفة وليست عملا^(٥). وتكشف لنا مثل هذه التعليقات وسواها مقدار تعلق ثورو بالشرق ومخطوطاته.

كانت تجمع إمرسون وثورو صفات مشتركة، لكن استعداداتهما الطبيعية وتجاربهما المختلفة قادتهما إلى غايات متباينة. فاستشرافية إمرسون تنضح بثيولوجية انتقائية. ونجد عنده مفهوم «الروح العليا over-soul»^(*) وهو مفهوم شمولي عنده يربط بين نظرياته في الفن والشعر والسلوك الحياتي. بينما لم يكن ثورو صانع عقائد، بل كان يبحث عن إدغام نفسه وتوحيدها بشكل كامل مع الطبيعة، وكان يقارن نفسه بالهندوس. وكانت قراءات إمرسون تهدف إلى المماثلة والتوفيق أو في حدها الأقصى إدخال تعديلات على خطوط مكتشفة ولا يقدم أي انطلاقات جديدة. ونلاحظ بصمات الصوفية الإسلامية وفلاسفتها

3- Arthur Ghristy ، the orient in American thranseendentalism

4-Ibid

5- Ibid

*over-soul - الروح العليا أو الحقيقة المطلقة.

واضحة على تفكيرهما وأعمالهما، وقد أبديا إعجابهما بها أكثر من مرة وفي أكثر من موقع.

ونلمس فرقا واضحا بين استفادة ثورو الأدبية والفلسفية واستفادة إمرسون من الشرق وكتاباتة. فنرى الطبيعة بموجوداتها تستحوذ على ثورو، حيث تذكره شجرة الصفصاف متدلّية الأغصان في بلاده «بطبيعة الشرق والحدائق الفارسية وليس بإنجلترا الجديدة».

أما بالنسبة إلى إمرسون فكان عنده استعداد دائم ومزج لطيف للعبارات الهندوسية وسواها مع عباراته. وفي صياغته لعقيدته «الروح العليا» فإنه يضعها بموازاة الضياء. لكنه على صعيد الممارسة كان مسيحيا. وأوجد توليفة بين الطوبى المسيحية والأحادية monism الشرقية عندما قال «طوبى لذلك اليوم عندما يعرف الشباب أن «في» و«فوق» لهما المعنى نفسه»^(٦).

ولكن ثورو القارئ النهم للشرق وفلسفاته وجد فيها الكثير، فكيف لأسلوبه ألا يكون أسلوبا شعريا وفلسفيا جميلا، إذا كان داخل هذا الرجل المتقد شاعر؟

اهتم ثورو أيضا بالدولة وشؤون الحكم، فلم يكن ميالا مزاجيا إلى مواقف كونفوشيوس، لكنه يقول «حتى فيلسوف الصين العظيم كان حكيما بما فيه الكفاية ليعتبر أن الفرد هو أساس الإمبراطورية»^(٧)، فقد كان داعية كبيرا «للعصيان المدني» في حين كان إمرسون وكونفوشيوس من دعاة الامتثالية CONFORMITY. ولن يذهب أي كونفوشيوسي إلى والدن Walden حيث اعتكف ثورو. في حين وجد إمرسون في كونفوشيوس تسويغا لسلوكه الحياتي ومواقفه.

6- Emerson , journals III 399

7- thoreau writings Iv , 387

وفي الوقت الذي كان ثورو يحتقر العادات المتأنقة والإتيكيت والتمسك بالرسميات والشعائر، نجد إمرسون يحترمها ويتمسك بها.

جمعت بين الأدوار الثلاثة التي لعبها شاعر كونكورد - ثورو الطبيعي وثورو اليوغي، وثورو الكونفوشيوسي - شخصية إنسانية فريدة تتسم باتساق واستقامة لا يتغيران، وذلك على خلاف إمرسون متعدد الجوانب والذي تأخذ كلماته تلاوين أفلاطونية براهماتية وكونفوشيوسية.

إن ثورو رتيب لكنه اتساق عظيم، وخلاصة ما أخذه من الهندوس والفرس والصينيين كانت حبهم الباطني للطبيعة. ولكي نفهم والدين Walden في فلسفته لا بد من العودة إلى فلسفته الحياتية. فعندما تكون الحقيقة هي البراهما - الروح العليا (الحقيقة المطلقة) - والعالم الظاهري كذب، لا بد من أن تكون النهاية المنطقية للحياة هي البحث الحثيث عن تلك الحقيقة. فلم يكن اهتمام ثورو بواقع العالم إنما بإمكانه. ولا يشكل الخلاص مسألة قبول عقيمة، إنما اكتساب ونفاذ بصيرة.

كان إمرسون يحب المدنية أكثر من ثورو. وكانت فلسفته نوعا من العالمية والثقافة الإنسانية الشمولية، بينما كان ثورو مراقبا دقيقا، عالما نبائيا، رجلا عمليا، قام بمختلف ضروب الأعمال عند إمرسون الذي بقي طالبا وحالما وسعيدا بكتبه، يحلم بالشعراء والمتصوفة، فكان حريّا به - أي إمرسون - وليس ثورو، الابتعاد عن العالم لتنظيف قنواته المؤدية إلى الروح العليا من جميع ما يعيقها. لكننا نرى ثورو هو الذي اعتكف في والدين واعتبر اعتكافه طريقة في

الحياة تشكل ممرا أكيدا تجاه معرفة الذات الروحية والواقعية. ويقول عن اعتكافه في والدين «لم يكن هدفي من الذهاب إلى والدين العيش برخص أو بغلاء إنما القيام ببعض أعماله الخاصة وبأقل قدر ممكن من العوائق»^(٨)، وكان يردد دوما «لا يمكن الجمع بين محبة الطبيعة والإنسان، إنه قانون. فما يقربك من أحدهما يبعدك عن الآخر»^(٩).

وكان كلاهما متأثرا بالمعتقدات الدينية عند الهندوس حول الحياة بعد الموت. فالمت بالنسبة إليهما تحرير للقوة الحيوية، وعودة إلى الطبيعة؛ ولذلك كان إيمانها يتداخل ويتخالط مع المنطق الحتمي عند الهندوس.

وأخيرا لابد من القول إنه لا يمكن إنكار اهتمام ثورو بحياة أهل بلده سكان كونكورد والمشاكل الصناعية. وكتب يلفت الانتباه إلى آثار العمل الصناعي الشاق على البشر كأفراد، ووجد أن مثل هذا العمل جعل أصابعهم وجلة وخرقاء لا تستطيع قطف ثمار الحياة. وهؤلاء مرتهنون بعمل قاس واهتمامات تافهة، وليس لديهم أي فراغ لمكاملة شخصياتهم أو لتدعيم ما يسميه ثورو بـ «العلاقات الإنسانية مع الإنسان»، فالآلة هددت وقضت على قيم الطبيعة الإنسانية «مثلما تموت الزهرة على الثمرة»، وهنا لابد من الإشارة إلى أن اعتكافه في والدين لم يكن هربا أو فشلا في الحياة ومنها إنما على حد تعبيره «للعيش كما يجب أن يعيش أي فيلسوف، وليس بحماقة مثل البشر الآخرين، بل بحكمة ووفقا للقوانين الكونية»^(١٠).

8- thoreau journal II.21

9-thoreau journal II.40

10- thoreau writings IV 348.

لقد أخذ ثورو من الشرق الكثير، لكنه أعطاه أيضا. وليس بغريب على مثل هذه الشخصية أن تكون أفكارها دوما، كما يقول، تخطيطا ضد الدولة، وكتب مقالاته المشهورة «العصيان المدني» و«العيش دون مبادئ» وتبنى الماهاتما غاندي ما جاء فيهما وصارت شعارا للملايين الهندوس.

ويذكر رومان رولاند في كتابه حول الماهاتما غاندي أن الماهاتما لم يكن يخطط منذ البداية للعصيان المدني، ولكنه كان يعرف من دراسته المعمقة لثورو حيث اقتبس الكثير منه. وكتب الماهاتما في يوليو عام ١٩٢٠ في افتتاحية Young India: «إن ثورو وأمثاله من الرجال هم الذين أحدثوا إلغاء الرق عبر مثلهم الشخصية»^(١١).

ويقول ردا على رسالة من هنري سالت (الكاتب الأول لسيرة ثورو): «كان تعرفي الأول على كتابات ثورو عام ١٩٠٧ خلال فترة المقاومة السلبية، أرسل لي أحد الأصدقاء مقالته حول «العصيان المدني» التي تركت عميق الأثر في نفسي، وقمت بترجمة ونشر قسم منها»^(١٢).

وأخيرا كما يقول روبرت لويس ستيفنسون عن ثورو: «جبلت روحه لمجتمع أكثر نبلا، واستنفذ في حياته القصيرة إمكانات العالم. فنراه حيثما كانت المعرفة، والفضيلة والجمال، وجد منزلا له»^(١٣).

حسن بحري

11- Mahatma Gandhi , young India

12- Henrys. Salt ,Company Ihave kept 1930 p-100

13- Emerson ,works ، 485

white

شخصيات المسرحية

والدو: رالف والدو إمرسون، فيلسوف وشاعر.

هنري: هنري دافيد ثورو، فيلسوف وشاعر.

ليديان: زوجة والدو.

إدوارد: ابن والدو.

الأم: أم هنري.

جون: جون دافيد ثورو، شقيق ثورو.

بيلي: زميل هنري في الزنزانة.

بول: ديكون نحميا بول، رئيس إدارة المدرسة.

إيلين: إيلين سيويل، طالبة عند ثورو.

سام: سام ستابلز، شرطي وجابي الضرائب.

وليمز: زنجي كان عبداً وفرّ من سيده.

بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثانوية غير المحددة الأخرى.

white

ثورو الراهن

لا ينتمي المسجون في مسرحيتنا إلى العصر الذي عاش فيه بقدر انتمائه إلى جيل السبعينيات من هذا القرن. نبذ هنري دافيد ثورو، منذ أكثر من قرن، بوصفه شخصاً غريب الأطوار. فلا أحد تجرأ على مثل هذا التمرد، وهو المستخدم عند إمرسون، وعلى التساؤل حول فوائد التقنية! فما الذي دفعه إلى هذا الموقف ما دام من الواضح لكل متعلم أن التطور التقني والتقدم مترادفان. فلايجاد عالم أفضل، ليس علينا سوى جعل الأشياء أكبر أو أسرع أو أقوى أو أرخص.

لكن المادية ليست هي السبيل.

لقد اشتتم الدخان قبل أن نراه نحن.

ولذع هذا الدخان روحه قبل أن يلذع أعيننا.

صرخ ثورو بكل هذا، لكن في ذلك الزمن الذي لم يعرف

التلفزة كان سمع الناس بطيئاً.

لقد تغنى بالتمرد اللاعنفي، لكن من تابعوا نشيده لم

يكونوا سوى قلة قليلة: غاندي، والكونت تليستوي ومارتن

لوتر كينغ.

لقد دفعت ذهنية الحكومة المادية ثورو المتصوف

إلى شطآن والدن. وكانت نقمة ثورو شبيهة جداً بنقمة

شباب اليوم. فلقد أثار الكذب والدجل، اللذان غطيا على الصراع الدموي بين أمته وأمة أصغر هي المكسيك، سخط ثورو واشمئزازه، وتظاهر رئيس الولايات المتحدة وقتها «جيمس بولك» بمحاولة حل الخلاف على طاولة المفاوضات. بعد ذلك توغلت القوات الأمريكية، من دون موافقة الكونغرس، داخل أراضي المكسيك. وحصل تقرير الرئيس الناقص وغير الدقيق (الذي فسر بصورة واهية على أن ذلك قد نتج بسبب النقص في الاتصالات الإلكترونية) على موافقة الكونغرس. وابتهج دعاة تفوق البيض والصقور في تلك الأيام. لكن أوساط المثقفين تنهدت مرتعبة.

يشتمل نص المسرحية على استنكار لهذه الحرب، أطلقه أحد أعضاء حزب الهويغ whig* الشباب في الكونغرس من Illinois، وقد دفع ثمن هذا الموقف حيث لم يعد انتخابه، ولكنه أصبح لاحقا أول رئيس جمهوري للولايات المتحدة الأمريكية.

قام عملاء أمريكا السريون بتهريب رئيس دمية للمكسيك من هافانا. أما الشعب المكسيكي، الذي واجه تفوق آلة الحرب الأمريكية، فقد قاوم على امتداد الطريق المؤدي إلى مداخل عاصمتهم، التي لم تسقط

*الهويغ whig : حزب تشكل عام ١٩٨٤ لمقاومة الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا عندما نفذت ذخائرهم. أما في جانب الغزاة فقد كان التوتر شديدا بين مبعوثي البيت الأبيض السريين والكونغرس المستنصر والقادة العسكريين الطموحين، الذين غدا أحدهم رئيسا للولايات المتحدة وآخر رئيسا للكونفيدرالية Confederacy.

وقد أبلغ كابتن في جيش الجنرال وينفلد سكوت أن القوات الأمريكية مارست همجية فظيعة. كانوا يطلقون النار على العزل لأسباب تافهة. «كان سلوكهم، تجاه السكان البائسين مرعبا، وكان دخولهم إلى كل قرية مفرعا كالموت».

وكتب شاهد عيان آخر، يوليس س. غرانت، في مذكراته: «لا أظن أن ثمة حربا أكثر فظاعة من تلك التي شنتها الولايات المتحدة على المكسيك. كنت أفكر على هذا النحو في ذلك الزمن، عندما كنت شابا، لكن لم تكن لدي الشجاعة الأخلاقية لأن أستقيل». وإذا ما كان لدى غرانت خيار الاستقالة، فإنه لم يعد مثل هذا الخيار متاحا لشبان الحروب اللاحقة.

وكما يقول سانتيانا فإن «أولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم بمعاشته مرة أخرى». ولعل هذه المسرحية تنعش ذاكرتنا ونحن نعيش مرة ثانية ذلك الاحتجاج الشعري لواحد من رجال أمريكا الأكثر تحررا.

الزمن ملغى في زلزلة السجن هذه. فنحن لسنا واقعين
في شرك الأحداث الماضية، بل نهتم بثورو الراهن، هذه
الروح المتفجرة التي استشرفت مخاطر عصرنا بوضوح
وقوة تفوق معظم ما يقدمه الشباب الغاضب الذي يكتب
الآن عن زمننا.

ثورو لهو مفارقة أسرة
إنسانا كان، ولا يزال عملاقا يمحو ذاته
فطنا، نادرا ما يضحك
إنسان أحب بكل العمق والكمال حتى بدا كأنه لم يحب
أبدا.

جيروم لورنس
روبرت بي. لي

الفصل الأول

white

(في وسط المسرح ثمة ما يُوحى بزنانة
سجن: سريران خفيفان بسيطان، كرسي،
صندوق خشبي يستخدم بمنزلة درج
للملابس، نافذة متخيلة عند مقدمة
المسرح تطل على ساحة كونكورد.

يمتد بروز (لسان) إلى الأمام من دون مكان
للممثل. الزنانة نفسها في حالة فوضى.
باب الزنانة، المتخيل، وسط مؤخرة المسرح.
السماء فوق ساحة كونكورد تشكل محيط
الزنانة. وثمة أصوات بعيدة لطير ليلي.
وعلى السريرين رجالان يرقدان من دون
حراك. أشعة القمر المخططة تسقط عبر
قضبان السجن على هنري، أما الرجل
الآخر فيرقد في الظل على السرير الثاني.
في ضوء شتائي واهن، لا علاقة له بالزنانة،
يدخل رجل عجوز مستندا إلى ذراع زوجته.
يمشي بانتصاب مفتعل، مستخدما مظلته
بمنزلة عكاز. الزوجة أرسقراطية أنيقة.
يحمل العجوز شالا على كتفيه. ولفاعا
حول رقبته. يقف).

(فجأة، كما لو أن أحدا سرق منه حافظة

والدو: نقوده) ما اسمه؟

اسم من؟

ليديان: لقد نسيت اسم أعز صديق عندي!
والدو: هل كان لديك يوما صديق عزيز؟
ليديان: الصبي، الذي ألبس الدجاجات قفازات.
والدو: هنري؟
ليديان: (بشكل مبهم) أظن أن اسمه دافيد.
والدو: (تسلط الإضاءة على أم هنري وهي تدخل إلى منطقة أخرى من المسرح بعيدة أيضا عن الزنزانة. حزينة تكوم شعرها الأشعث فوق رأسها).
دافيد هنري، أين ذهبت وماذا فعلت؟

الأم: (ينهض هنري عن السرير، عمره ٢٩ عاما، حليق، نظيف، عيون براقية وثياب نظيفة لونها بلون الغابة. إنه شاب حاد المزاج، ذو قناعات عنيفة وفردانية مدمرة).
لم أذهب لمكان ولم أفعل شيئا. لم أفعل أي شيء.
هنري: شيء.

آه يا للسماء!
الأم: (تبتعد الأم عن خشبة المسرح) لويزا! دافيد هنري ذهب ولم يفعل شيئا مرة ثانية.
(مصححا) هنري دافيد.
هنري: دافيد هنري. تبدو غريب الأطوار مرة
الأم: أخرى.
(من بعد) كان غريب الأطوار، بصعوبة كنت

والـدو: أفهمه.

أحيانا.

ليـديان: أحيانا لا أعرف من أنت.

الأم: أنا نفسي، يا أمي.

هـنـري: (ينفض ويجلس على حافة السرير)

إن لم أكن أنا، فمن سأكون؟

عندما جرى تعميدك قالوا لك من تكون.

الأم: لم أستمع إليهم.

هـنـري: عند تنصيرك لم تصرخ أبدا ولا مرة. قال

الأم: ريبلي الجليل: من الغريب ألا يبكي طفل

عند تنصيره.

أعتقد أنني كنت أدري ما كانوا يفعلونه

هـنـري: بي؟

لا أعتقد.

الأم: لذلك لم أبك.

هـنـري: لم أكن أعرف في حياتي سعيدا أشد حزنا

والـدو: منه.

أعتقد أنه كان الرجل الحزين الأشد سعادة.

ليـديان: كان يعمل أيام الآحاد، ويرتاح بقية الأسبوع.

(يحدق في مظلته، ويقول بحيرة):

والـدو: لمن هذه؟

إنها مظلتي.

آه، أجل.

ليديان: (يتفحص المظلة بشوق، كما لو كانت صديقا
والدو: قديما فقده).

نعم، إنها... أوه... إنها...
(لكن ينسى كلمة مظلة من جديد).
نعم.

(تساعد ليديان والدو المشوش الذهن، بينما
تبتعد الإضاءة عنهما).

لا مانع أن تكون دقيقا. لكن هل كان عليك،
يا دافيد هنري، أن تركز على ذلك إلى هذا
الأم: الحد؟

هنري دافيد.

أقصد فهم كل شيء بطريقة معكوسة، كيف
هنري: تعلمت الأحرف؟

الأم: هل من الضروري أن تبدأ أحرف الهجاء
بالحرف A؟ (ينهض واقفا). لماذا لا تبدأ

هنري: بحرف Z، حرف z اجتماعي جدا. يشبه
طريق إنسان تائه في الغابة. بينما حرف A

مربط وصلب. A هو بيت. أفضل S-T-U--
V-W-X-Y-Z-Z

(ويسير بشكل متعرج خارجا من الزنزانة
إلى اللسان).

آه، يا عزيزي!

أو لنخلطها معا. لنبدأ ب H، لنبدأ ب Q.

الأم: (والدو، أصغر سنا وبقامة أكثر انتصابا،
هنري: يتحرك باتجاه المقرأ حيث يسلط الضوء
على وجهه فيتوهج وكأن نوعا آخر من
الإشعاع الداخلي يصدر عنه. لقد وصل
إلى ذروة خطابه).

(بطريقة منمقة) لاتكن مطيعا مذعنا.
(يرى هنري والدو، ينزل على ركبتيه ثم
والدو: يجلس القرفصاء كمريد معجب عند قدمي
صنم).

(كما لو أنه يسترجع (يتذكر) الوصية)
«لا تكن.. مطيعا.. مذعنا..!».

هنري: (يدخل جون، يقف بجانب أمه المضطربة،
كلاهما ينظر إلى هنري، بينما يجلس في
ثبات كأنه لاعب يوغا، محدقا في الفراغ
أمامه. يبدو جون أطول من أخيه، أنيس
 واجتماعي. يتحرك جون برشاقة ومرونة،
على خلاف حركات أخيه الأصغر الموتورة
والمفاجئة).

هل تدري ما مشكلة دافيد هنري، يا جون؟
ما هي؟

الأم: إنه مستمر في رفض الطاعة والإذعان!
جون: (يهز كتفيه باستهجان).
الأم: ياللعجيم، لقد درس في هارفارد.

(تقطع هذا المزاح حالة الوجد عند هنري.
ويقفز واقفا).

(معانقا أخاه) جون!

أهلا بالعائد. كيف حال دماغك المحشو.

هنري: نسيت كل شيء بالفعل.

جون: على الأقل حصلت على الدبلوم!

هنري: لا، لم أحصل على الدبلوم!

جون: ولم لا؟

هنري: يطلبون دفع دولار. وأنا أرفض دفعه.

جون: لكن فكر كم ستسعد أمك بذلك، دبلوم من

هنري: هارفارد، معلق في إطار على الحائط.

جون: لندع كل خروف يحافظ على جلده.

(يدفعه جون دفعة استخفاف على كتفه،

هنري: ويتصارعان كصبيين ثم يجلسان جنباً إلى

جنب مقطوعي الأنفاس).

يا جون، لقد تعلمت من رجل واحد - مع

أنه ليس أستاذاً - أكثر مما تعلمت خلال

السنوات الأربع التي قضيتها في التبطل

الأكاديمي والشخير في كامبريدج. والأغرب

من ذلك أنه ليس بشخص غريب. كنت

أعرفه وأراه، وأنت تعرفه. تسير إلى جانبه

في الشارع، تبادلته التحية، إنه إنسان، جار

مثل كل الجيران. لكن ما يكاد يتحدث هذا

الرجل حتى يخيم الصمت فوق هارفارد
بأكمله. فثمة نور يشع منه، يصدر عن
وجهه. لكنه ليس بنور رجل واحد. أقسم،
يا جون، إنه نور البشرية بأكملها!
(باستهزاء) وثني!

(يضرب هنري براحة يده على الأرض)

جــــــــــــــــون: هل هذه هي الأرض؟
أمل ذلك.

هــــــــــــــــنري: (ينهض ببطء ويقف على قدميه)

جــــــــــــــــون: لا. هذه أنت. وأنا.. والسيد إمرسون.
هــــــــــــــــنري: والعقل الكوني.
والخالة لويزا؟

نعم، الخالة لويزا. أيضا طقم الأسنان وكل

جــــــــــــــــون: شيء. (حاكا رأسه)

هــــــــــــــــنري: ليس من السهل أن نتخيل الخالة لويزا،
تسبح في درب اللبانة. لكن هذه هي حال
الأمر، وأنا واثق من ذلك.

وإذا لم تستطع البقاء طافية هناك، تستطيع
أنت الغوص وإنقاذها!

جــــــــــــــــون: (يضحكان، ثم ينهض جون ويتكلم بمزيد من
الجدية).

بعد أن أدركت ظهرك لهارفارد، ماذا تنوي
أن تفعل؟

(متمشيا بخطوات موزونة)

حسنًا أعتقد أنني بحاجة لفترة من التفكير.

هنري: سأترك الكلية!

لكن ماذا تريد أن تصبح؟ وهل لديك أدنى

فكرة عن ذلك؟

جـون: نعم، أعرف بالضبط. أريد أن أصبح شبيها

لرالف قدر الإمكان.

هنري: (ينظر الأخوان أحدهما إلى الآخر بجدية.

تبتعد الإضاءة عنهما. تسقط الإضاءة على

والدو وليديان. يظهر والدو بقامة شاب

لكنه يبدو مرتبكا بينما يقلب صفحات

مخطوط).

كانت محاضرتك رائعة، يا عزيزي.

أعتقد أنني قرأت أحد المقاطع مرتين. وفي

ليديان: لحظة ما لم أنتبه إلى أين وصلت.

والدو: لم يلاحظ أحد ذلك، يا عزيزي.

إن لم يلاحظ أحد ذلك، يعني ذلك أن أحدا

ليديان: لم يكن يصغي إلي.

والدو: لا بد أنهم ظنوك فعلت ذلك بقصد التأكيد.

(ينظر والدو إلى زوجته بريبة. ثمة شخير

ليديان: قادم من السرير الآخر في الزنزانة. يعود

هنري - خلال المحادثة بين ليديان ووالدو -

إلى سريريه في الزنزانة).

(يتحرك ثم يلتفت إلى زوجته).

هل شاهدت ذلك الشخص الذي كان في
الصف الثالث؟ كان مغمض العينين، ألا
والدو: تعتقدين أنه كان نائماً؟
كان يركز، يا عزيزي.
(مطمئناً قليلاً، يخرج والدو مع زوجته.
يتصاعد الشخير بينما يزداد ضوء القمر
ليديان: سطوعاً في الزنزانة. يجلس هنري في
سريره، ينظر إلى زميله النائم).
(بلطف) يا صديقي...
(يشخر زميله، ويفيق كما السكران).
هاها؟ لماذا...؟
هنري: يمتلك كل كائن بشري الحق في الشخير.
شريطة ألا يتعارض مع حق الناس الآخرين
السريـر الآخر: القطعي في الشخير.
هنري: (يحدق الرجل في السريـر الآخر)
لم أستطع سماع ما كان يجري.
لا شيء يجري هنا. الوقت منتصف الليل.
سيطلع النهار، ويعود الليل من جديد والفرق
ليس بـكبير.
السريـر الآخر: صمتاً!
(هنري يصغي بكل كيانه. ثمة صوت بعيد
لطائر ليلي).

هـنري: هل تسمع ذلك؟

(يقترّب من النافذة التخيلية عند مقدمة المسرح).

«بيلي» لا أسمع شيئاً. طير لا غير.

(بامتعاض) «طير لاغير!» وهل تستطيع

البكاء مثله أو أن تقفّات على الأزهار، أو

السريّر الآخر: حمل السماء على جناحك؟ يا صديقي،

هـنري: أنت وأنا لا نستطيع حتى الطيران.

(توقف قصير. يفرك بيلي عينيه).

(مغمغماً) فاتني شيء من حديثك. أعتقد

أنني لم أستيظّ تماماً.

(يمعن النظر فيه) لا أحد مستيظّ تماماً.

بيلي: وإذا قابلت في يوم من الأيام إنساناً

مستيظّاً بشكل تام كيف أستطيع النظر

هـنري: في عينيه؟

ماذا فعلت حتى سجنوك.

وماذا تظن؟

حسنٌ.. إن شخصاً مثقفاً مثلك لا يمكن أن

بيلي: يكون قد ارتكب شيئاً صغيراً. على الأرجح

هـنري: جريمة قتل أو أسوأ.

بيلي: هذا ما فعلت، تحت أضوائهم، في الخارج

هناك في الظلام: قاتل أو أسوأ.

(مغيراً لهجته)

هـنـري: أنا هنا لأنني أرفض القتل.
ومن أرادوك أن تقتل؟
المكسيك.

من هو؟

بيـلي: هناك، حيث الحرب قائمة.
هـنـري: أي حرب؟

بيـلي: (يسير بخطى بطيئة، مذهولا)

هـنـري: يا صديقي، قد تكون هذه الزنزانة المكان
بيـلي: الوحيد الذي ينعم بالسلام في الولايات
هـنـري: المتحدة.

من يحارب من؟

أنا لا أحارب أحدا.

ولا أنا.

بيـلي: ولكن لدينا رئيس خرج وأعلن حربا بنفسه
هـنـري: من دون أي مساعدة من الكونغرس أو أي
بيـلي: مساعدة مني.

هـنـري: لأول مرة أسمع بذلك. (بحذر)
مع من أنت؟

(مشيرا بثبات إلى مقدمة المسرح، تجاه
بيـلي: كونكورد).

هل أنت ضدهم؟

(يفكر) أنا واحد مني.

هذا كلام ليس له معنى.

(بعيدا ثمة صراخ لطائر آخر، يشبه بكاء
هنري: المحروم. يتقدم هنري مرة أخرى إلى
بيلي: النافذة التخيلية في مقدمة المسرح).
هل تسمع ذلك البكاء؟ صديق قديم لي. إنه
طير ليلي.
ليس عليه أن يرى أين يذهب، أو ربما
هنري: يستطيع رؤية ما نحن غير قادرين على
رؤيته أو.. اسمع...
(يصرخ الطائر من جديد. ينظر بيلي إلى
هنري كما لو أنه شبه معتوه).
إنه يتوجه إلى البركة. هل صادقت مجنونا
في يوم من الأيام؟
(ثمة توقف قصير).
لا، ليس حتى الليلة.
في أي لحظة تسمع عن رجل يصفونه
بالجنون تذكر فقط أن هذا إطراء له، وقلة
بيلي: احترام كبير بحق الجنون. لا يشعل الجنون
هنري: حربا، حكومته مثالية، كونها غير موجودة.
إنه أفضل صياد سمك في العالم، وسيطر
سيطرة تامة على حواسه، شكرا لك.
(لا يزال بيلي غير واثق بشأن زميله الجديد
في الزنزانة).
لماذا أنت هنا، يا صديقي؟

أنتظر المحاكمة.

ماذا فعلت؟

لا شيء.

بيلي: وبماذا يتهمونك؟

هنري: (بتذمر) بأنني أحرقت حظيرة

بيلي: (بتحد)

هنري: لكن لم أفعل ذلك. كل ما فعلت أنني تسليت

بيلي: إلى داخلها لآخذ إغفاءة هناك، وأظن أن

بعض الشرر قد تساقط من غليونني على

القش و..

هل أخبرتهم بذلك؟

وقت الإخبار هو المحاكمة. وهذا ما أنتظره

منذ ثلاثة أشهر.

هنري: (وقف غاضبا) أقفل عليك هنا لثلاثة أشهر

بيلي: كاملة، بانتظار فرصة لتقول إنك بريء.

هذه هي الحال.

هنري: فظيع!

(مناديا)

بيلي: سام ستابلز! ستابلز!

هنري: (يوقفه بيلي عن الصراخ).

لا تصرخ. أنا لست مثيرا للشغب. لا أريد

سوى كسب قوتي، تحصيل بعض النقود

لتبغي، وأستمر.

بيـلي: «أستمر» هذه الكلمات تقلب معدتي.

يا سيد، ما اسمك؟

بيلي.

هنـري: (يعبر أحد الأشخاص ساحة القرية بشكل

مغرور. ويصغي هنري بحداقة حيوان).

بيـلي: يا سيد بيلي، أصغ! ماذا تسمع؟

لا شيء.. سوى وقع خطوات.

وقع خطوات من؟

هنـري: أعتقد أنها خطوات رجل ما.

بيـلي: أين يسير.

هنـري: كيف لي أن أعرف؟

بيـلي: أنا أعرف إلى أين يذهب، إنه ذاهب حيث

هنـري: يفترض به الذهاب، وبذلك يستطيع أن

بيـلي: يكون حيث يفترض به أن يكون وفي الزمن

هنـري: الذي يفترض به أن يكون هناك. لماذا؟ لأنه

بهذا الشكل سيكون مرضيا. يا إلهي نحن

بلد كامل من الذين لا يريدون سوى أن

يرضى عنهم الآخرون.

(مندفعا بوجهه بشكل صارم تجاه بيلي).

لكن لتكون مرضيا، عليك ألا تعارض مطلقا.

وحين لا تعارض أبدا فإن ذلك لا يشبه سوى

أن تقوم بالشهيق من دون أن تزفر أبدا! إن

الإنسان يمكن أن يخنتق من المداينة.

(يتمشى بخطوات بطيئة)

يمكن أن تكون الحيتان الكبيرة انتهكت
بعض التشريعات، والله يعلم أنها ستتهدد
ذات يوم وتتكلم من دون نهاية عن الخير
العام؟

(بحماس عنيف)

لعنة على الخير العام! أعطني شيئاً ما
عظيماً ليس عاماً!
لا أفهم ماذا تقول، لكن من الرائع سماع
طريقة كر الكلمات!

سأقولها بلغة أنكلوساكسونية بسيطة.

بيلي: يا سيد بيلي: أنت إنسان غير عادي. لقد كنت
تحتج على باني الحظيرة الذي حبسك داخل
هنري: الألواح الخشبية وساعات العمل النهارية.
لا تقل ذلك لأي قاض كان! إن كنت أحرقت
الحظيرة فإنهم سيلقون بي في السجن.

يا صديقي، أين تظن نفسك؟ يمكن تماماً
بيلي: أن تكون فعلت الفعل الذي لم ترتكبه.

لكنني لست شخصاً مغرماً بإحراق الأشياء!
هنري: (بتفكير) هذا حسن لك. إن النار في الداخل
تحرق أشد من النار في الخارج، وإن قناعة
بيلي: الإنسان لهي أقوى من لهيب أو رصاصة أو
صخرة.

هنري: (بتهالك على سريرہ، متفكرا).

أفكر إذا كانوا سيبقونني هنا لثلاثة أشهر
أنتظر المحاكمة! فمن سيقتلع الأعشاب
الضارة من مسكبة الفاصولياء الخاصة بي؟
(ضحكة صغيرة).

كان باستطاعتي، طبعاً، تكليف شخص آخر
للقيام بذلك.

إن التحادث مع شاب ذكي مثلك شيق.
أراهن أنك تعرف حتى الكتابة.
أحياناً.

أريد أن أكون كاتباً. وإذا استطعت كتابة
اسمي، فسأموت سعيداً.

بيلي: ستكون فعلت أفضل من معظم الكتاب. اسم
بيلي ليس صعباً.

هنري: أعرف بدايته، بدايته هي بداية أحرف
بيلي: الهجاء معكوسة!

(ينحني على الأرض)

هنري: سوف أعلمك الأحرف الباقية!

(يسلط الضوء على أم هنري لوقت قصير)

بيلي: الأم: آه، دافيد هنري خبير في قلب الأشياء
إلى الوراء!

هنري: (تبتعد الإضاءة عنها. يكتب هنري بإصبعه
على غبار الأرضية ويجثو بيلي بتوق على

ركبتيه إلى جانبه).

...B...A

هذا كل ما أعرفه.

من هو بيلى؟

I «أنا»

هذا هو حرفك التالي I؟

هــنـري: كيف تكتبه؟

بـيـلى: (يرسم بإصبعه خطا على الغبار).

هــنـري: ببساطة إنه مثل عمود التعريش الذي

بـيـلى: يصنع للنبات. ممتد نحو الأعلى والأسفل.

هــنـري: «B-A-I» هكذا تكون بلغت منتصف الطريق

بـيـلى: في اسمك. من ثم أدر الزاوية، هكذا:

هــنـري: ها هو حرف «L» B-A-I-«أدر الزاوية».

والآن ها هو حرف صعب

(ينظر بعينين شبه مغمضتين إلى بيلى

الجاحظ العينين).

كم شعرة لديك؟

ما يكفي للتمشييط.

تمام. بيلى بحاجة إلى مشط لتمشييط

شعره.

(راسما على الغبار) ها هو «E» وبعد أن

تنتهي من ذلك، أنت تريد شجرة وارفة

بـيـلى: لتجلس تحتها. لذلك تصنع عمودا للتعريش

هنري: ذا أفرع في رأسه وهذا هو حرف «Y»
(يرسمه) وها هو اسمك.
يا إلهي! بسطت الأمر!
(بينما يرسم الأحرف على الأرض الوسخة،
يستدير نحو هنري، سائلا الموافقة).
[شجرة - مشط - أدر الزاوية - عمود -
[B-A

بيلي: أحسنت! تستطيع الآن كتابة اسمك! «بيلي»!
سأغادر هذا السجن شخصا متعلما،
(بجدية) لا بد أنك أستاذ!
أن تكون أستاذا كأن تكون في السجن، ما
أن يسجل عليك لن تستطيع التخلص منه
هنري: أبدا.

(يأخذ هنري الكرسي من الزنزانة ويضعها
بيلي: عند الحافة القصوى للبروز. ويختفي بيلي
على سريره في الظل، مكررا تهجئة اسمه
هنري: من الأحرف المرسومة على الأرض).

(يتحول هنري أستاذا شابا، يتوجه إلى
القاعة كما لو كانت ثمة قاعة صف مملوءة
بأطفال غير مرئيين).

أيها التلاميذ، ارفعوا أيديكم أمامكم، هكذا.
(يتلفت حوله ليرى أنهم فعلوا جميعا مثله:
مبقين أكفهم مفتوحة أمام الوجه على

مسافة ثمانية عشر إنشا).

هل ثمة شيء بين أنفي وأصابعي؟ لا شيء،
يا أصدقاء الشباب، بلى هناك الملايين
من الجزيئات الناعمة المتراقصة، تدور
إلى الأمام والخلف، تتداخل في ما بينها
وتتقافز! ثمة نجوم وعوالم وكواكب وأكوان،
هنا تماماً!

(ينفخ نفخة هواء في هذا الحيز الفارغ،
ثم يشبك أصابعه بعضها مع بعض. يدخل
بول، وهو رجل من المدينة إلى قاعة الصف
بغرور ممسكا بيده خيزرانتة المفضضة
الرأس، ويصغي إلى ختام ملاحظات هنري
لقاعة صفه).

والآن، هاكم اللغز! كيف لنا أن نعرف أن
هذه الجزيئات موجودة فعليا؟ كيف؟
(يضرب هنري كفا بكف ضربة سريعة عبر
الفراغ الظاهري أمامه).
فعليا كيف؟

(يفاجأ هنري، يستدير، يرى الزائر المغرور،
عندها يتوجه إلى الصف).
آه، لدينا ضيف مفاجيء في قاعة الصف
اليوم. رئيس إدارة مدرسة كونكورد «ديكون
نحميابول»

لست هنا لأقطع سير درسك المجدول.

بول: شكرا سيدي. إن هذه الجزئيات...
مراقب فقط. هذا أنا.

(يزداد هنري تحسسا. يطوي بول ذراعيه
هنري: وراء ظهره، وخيزرانتته تتدلى مثل ذيل
وراءه، يبدأ هنري بالكلام ثانية، ولكن بول
يقاطعه).

بول: اكتشف العلماء..

هنري: حاول أن تتسنى أنني موجود في القاعة.

بول: (ينظف حنجرته) سأحاول يا سيدي.
(متوجها إلى صفه)

في السنوات الأخيرة اكتشف العلماء أن..
لماذا لا أرى أي كتب مدرسية مفتوحة
أمامكم؟

هنري: نحن.. نقطف توت العليق، يا سيدي.

بول: ماذا؟

هنري: نتسلق من أجل الأفكار بالطريقة نفسها التي
نخرج فيها بحثا عن توت العليق في الغابات.
هذه الطريقة لا تعلم أي شيء. كل ما عليهم
بول: معرفته هو التهجئة الواضحة في النصوص
المدرسية المعتمدة.

هنري: لا، يا ديكون بول؟ بوتر الشاب، هنا..

بول: (مشيرا إلى تلميذ في الصف الأول).

هـنري: سألني في الحال إذا كنت أنا مؤمناً فعلياً
بأن الله موجود؟

بول: (موجهاً كلامه إلى بوتر)
إن مسائل اللاهوت، يا فتى، تتناقش مع
المعلم الروحي.

هـنري: سبق لبوتر أن سأل «معلمه الروحي»، لكن
الكاهن، أسماء ملحد! لا ارتكابه الخطيئة
الأولى وهي الشك.
(إلى التلاميذ)

بول: يا سيد بوتر، سأحاول الإجابة انطلاقاً من
إجابتي عن السؤال نفسه، وقد طرحه عليّ
أحد الشباب المزعجين والفضوليين
هـنري: (بتدقيق) هل ستكون إجابة لاهوتية؟
(ببطء): إنه رأي إنساني.
(مرة أخرى إلى التلاميذ، لكن بطريقة
عقلانية).

إذا دخلت دكاناً وشاهدت مجموعة عجالات
وتروسا ومسننات صغيرة ونوابض مصقولة
بشكل جيد لساعة مرمية على مقعد هناك،
بول: وبعد فترة وجدتها مركبة بعضها مع بعض
هـنري: بشكل دقيق وتعمل في تناغم لتحرك
العقارب على المينا وتبين الوقت، هل تعتقد
أن هذه القطع دخلت الحركة معاً بمحض

المصادفة العمياء؟ بالتأكيد لا. أوّمن بوجود
فرد ما يحمل الفكرة والخطة والمقدرة
هناك. الذكاء! الذكاء!

(يتقدم والدو في رداء أكاديمي من المنبر
في منطقتة).

الذكاء يحكم الكون. وعبر طقوس العبادة
هذه سنحتفي بامتناننا لهذا الذكاء. لنصل.

(خفض رأسه، وراح يصلي بصمت)
لا أعتقد أن الشمس المشرقة فوق كونكورد
هذا الصباح كانت مصادفة. آمل أن توافقني
على ذلك، يا سيد بوتر. وأنت أيضا يا ديكو
بول. إنه كان شروقا رائعا.

والدو: (بشكل توكيدي).

فجميعنا مرتبطون يا سيد بوتر، وعلى
علاقة متبادلة مع العقل الكوني.
هذا هو الإلحاد!

هنري: «ليس من السهل على هنري أن يتمالك
نفسه»

(تبتعد الإضاءة عن والدو، لكنه يبقى على
المنبر في حالة تأمل).

(بنعومة) هل يعني ذلك كله أي شيء لك،
يا بوتر؟

لا يعني شيئا لي. سوف تدرس الكتب

بــــــــــــــــول: المدرسية، يا سيد!

أرى أن نصوص كتبكم تعود للقرن الماضي
بشكل ما .

تراها كذلك!

نعم، يا سيدي!

هــــــــــــــــنري: ولذلك اخترت تجاهل الكتب التي حرّمتها
لجنة المدرسة؟

بــــــــــــــــول: لدى تلاميذي داء الفضول الذي أخشى أن
تحريماتكم لن تشفيه .

هــــــــــــــــنري: (ثمة زوج ضحكتين شابتين اختنقتا بشكل
سريع. يبدو أنهما صدرتا عن الصف .

بــــــــــــــــول: يستدير بول بنظرة صارمة تجاه التلاميذ

هــــــــــــــــنري: المتخيلين).

بــــــــــــــــول: (بطريقة آمرة).

صمتا! عليكم إظهار الاحترام للأكبر

هــــــــــــــــنري: منكم! وأنت، يا ناظر المدرسة، ستعلم وفق
النصوص المعتمدة بشكل دقيق! وليس
قطاف توت العليق!

(بعد برهة توقف)

أيها التلاميذ. سمعتم ما قال ديكون. سوف
نعتمد على الكتب المعتمدة. أبقوا نظركم

بــــــــــــــــول: على الصفحات، لا تلتفتوا إلى ورقة نبات
أو فراشة لم تسمح بها المدرسة. وعليكم

ألا تصفوا إلى صرصور ولا تشتموا وردة
لم توافق عليها لجنة المدرسة. من الأفضل
لكم صم آذانكم وسد أنوفكم، مع أنه سيكون
هنري: عليكم عندها إنبات يد إضافية للقيام بذلك.
(ويقوم بحركات إيمائية تعبر عن صعوبة
تغطية أذنيه وأنفه، ومن ثم أذن واحدة
فالأذن الأخرى وأنفه على التوالي. وخلال
ذلك تفلت ضحكات عفوية من قاعة الصف
غير المرئي عبر مكبر للصوت مثبت عند
أسفل البروز).

(يتقدم إلى مقدم المسرح)
سكوت! هكذا تظهرون الاحترام للبلدية التي
تغذي عقولكم؟ «يضرب الأرض بخيزرانتة ذات
الرأس المفضض، تنتفخ الأوردة في جبهته».
عليكم إبداء الاحترام والتهديب!
(تستمر الضحكات. يتوجه بول إلى هنري)
قل لهم أن يسكتوا، يا سيد!
(بمجرد أن يشير هنري بيده يتوقف

بول: الضحك).

لا بد أن أقدم تقريراً مفصلاً إلى لجنة
المدرسة حول غياب الانضباط في هذا
الصف، وأنا عازم على دعوة اللجنة إلى
جلسة استثنائية هذه الليلة بالذات.

(يظهر جون، وكأنه يخاطب عقل هنري).
جون قدّم للرجل درهم اعتذار، إنه يستحق
سنتين على إذلاله!

ولماذا علي أن أفعل ذلك!
كي لا يفصلوك من المدرسة. وإذا بقيت
عنيّدا فما الذي سيحصل عندما يطرح
بوتر أسئلته؟

(فترة هدوء، يعتذر هنري بصعوبة باللغة،
يأخذ نفسا عميقا، يستدير لمواجهة بول).
(بصعوبة باللغة) يا ديكون بول، أنا آسف
لأنك أمضيت وقتا مرهقا إلى حد ما في
هـنـري: قاعة صفّي هذا اليوم. أنا لم أقصد الإساءة
جـون: إليك أو إلى لجنة المدرسة.

حسنٌ، نحن هنا نتوقع درجة معينة من
الفوضى من قبل رجال هارفارد. وإن
اعتذارك يكشف أنك تعترف بهذا العيب
في شخصيتك. ولكن هارفارد لا تمثل عذرا
هـنـري: مقبولا بالنسبة إلى تلاميذك. فيجب أن
يُعاقبوا.

سأعلمهم.

ستجلدهم!

بـول: (مذهولا)

ماذا؟

ستجلدهم؛ لأنهم أظهروا عدم الاحترام
للسلطة.

(بتحد) لا، يا سيدي!

ماذا قلت؟

هنري: قلت «لا» أنا لا أؤمن بالعقاب الجسدي.

بول: ما تؤمن به لا علاقة له بنا. أنا لم أسألك

هنري: عن رأيك كمدرس، اجلدهم!

(يتردد هنري)

بول: لماذا؟

إنها سياسة. يُجلد التلامذة المذنبون.

هنري: وماذا سيعلمهم ذلك؟

بول: الطاعة. هذه صفة أساسية يجب أن

هنري: تتوافر لدى جميع المرؤوسين، سواء أكانوا

بول: تلاميذ في قاعة صف أم جنودا في ساحة

معركة.

لا يتدرب الطلاب ليصيروا جنودا. ليس

هنري: طلابي على الأقل.

بول: هؤلاء الفتيان ليسوا لك. لقد أرسلهم

هنري: مواطنو كونكورد دافعوا الضرائب، متوقعين

بول: منك الالتزام بالنظم التي وضعتها إدارة

المدرسة.

(صمت، هنري لا يتحرك).

قم بواجبك، أيها المدرس ثورو، إذا كنت تريد

كان هذا السوط هو الأكثر إيلاما . يدير رأسه جانبا . لقد انتهى الآن، يفتح هنري عينيه منهكا، يحدق بالحزام كما لو كان شيئا مقرفا وتافها . ويقذفه بعيدا عنه، خارج منصة المسرح).

أهنئك. أنا سعيد كوني الآن قادرا على إخبار لجنة المدرسة بأن ناظر المدرسة ثورو...

أدار السر المقدس لقاعة الدرس واستقال «كمعلم» في مدارس كونكورد العامة! (يتراجع بول بجمود إلى الظلال ويتوارى، يسلط الضوء على المنبر ويضيء في توهج كامل على والدو). (وسط صراع داخلي).

بول: لكن لا أستطيع الخضوع للطقس، لا أستطيع القيام بالشعائر التي يطلبها مني هذا المحفل، لأنني فتشت الكتاب المقدس ولم **هنري:** أعثر على ما يفرض علي التكرار اللانهائي لشعائر العشاء الأخير. لا أستطيع فكريا، أو عاطفيا أو روحيا إدارة هذا السر المقدس. ولذا أستقيل من منصبي كراع للكنيسة التوحيدية الثانية في بوسطن.

والدو: (يضع هنري الكرسي - «تلميذه» - من

جديد داخل الزنزانة، ويقترب تحت الضوء
بشكل حزين).

لن أدرّس بعد الآن أبداً.

لن أعظ بعد الآن أبداً.

(الإضاءة على الأم وجون)

هل لاحظت يا جون، مقدار التشابه بين

كلام إمرسون وابننا دافيد هنري؟

(يلاحظ جون وجود هنري المغموم ويتقدم

منه).

(بهدوء) المدارس لا تحتاج إلى لجنة

مدرسية أو أوصياء أو حكام أو خشابين

هـنـري: أو كتب مدرسية معتمدة. كل ما تحتاجه

والـدو: المدرسة عقل يرسل وعقول تستقبل.

لا يستطيع أحد أن يعلم شيئاً لأي كان.

الأم: (مصادقا) بالطبع لا يستطيع. علمهم كيف

يعلمون أنفسهم.

(متحمسا للفكرة) إن مدرستنا الخاصة

يا جون ليست أبنية. إنها خارج سجن قاعة

جـوـن: الصفوف. وكل ما تحتاجه هو السماء!

(تتوهج الستارة السكلورامية بالأزرق وغيوم

مُضاءة بالشمس. وثمة طيور تطلق صراخها

وتحلق، وإحساس عظيم بالحرية).

هـنـري: الكون يمكن أن يكون قاعة درسنا، يا جون،

جون: عالم ريف كونكورد الشاسع والرائع. «يضع

هنري قبعة من القش بسرعة على رأسه

هنري: ويدس دفتر الملاحظات تحت إبطه. وثمة

دفق من الضوء على مقدم المسرح. ويبدو

هنري كأنه يتمشى عبر الحقول المترامية

الطافحة بضوء الشمس. يلحقه جون

حاملاً منظاره».

أيها التلاميذ!

(التلاميذ، على الرغم من أنهم متخيلون،

من المفترض أن جميعهم حوله).

راقبوا! لاحظوا! تملوا!

(يأخذ المنظار من جون ويستعمله كمؤشر)

انظروا ما يجري من حولكم. هل خطر على

بالكم أي فكرة حول مقدار الأشياء التي

تحدث في مرج هيوود؟ أراهن حتى هيوود

نفسه لا يعرف ذلك.

(كأنه اكتشف شيئاً ما).

لقد أزهرت نبتة خف السيدة!

(يقلب صفحات دفتر ملاحظاته)

في العام الماضي لم تزهر قبل يوم الغد!

(ويدون كلمة في دفتر ملاحظاته).

هل تدركون مدى قلة الناس الذين يعرفون

ما اكتشفناه حالاً؟ أن تعثر مصادفة على

هنري: في الكتابة، وقد ارتجفت لسؤاله)
أنا أكتب.

لا تتذكري ما قلت فقط. تذكرني ما كنت
أتحدث عنه.

(بشكل مطيع تغلق دفتر ملاحظاتها. يسأل
هنري جون بصوت منخفض)
من هي؟
فتاة.

(يحدق كلاهما فيها، متأثرين)
واحدة منا؟ أقصد هل تنتمي إلينا؟ هل هي
إيلين: أحد تلامذتنا؟

هنري: (يمعن النظر إليها)
لا أمانع. وأنت هل تمانع؟
(عائدا إليها)
المعذرة يا آنسة، إنما أعتقد أنك أكبر بقليل
من أن تكوني عضوا في صفنا.
جون: يا هنري، سيدة شابة لا تكون أبدا كبيرة
جدا.

هنري: ما أقصده بدقة أن معظم تلامذتنا في عمر
الثانية عشرة أو حول ذلك. بينما عمرك
جون: أظن أكبر من ذلك بقليل.
(تضحك الفتاة)

هنري: هل لذلك أهمية حقا؟ لا أريد أن أزعجكم

أو أطرح أي أسئلة.

ولم لا؟

جـون: أخي الصغير هو الوحيد الذي يملك الحق في طرح الأسئلة، إنه يدفع رسم التعليم.

هنري: (مشيرا بإصبعه نحوها) أنت سيويل.

كيف عرفت؟

إيلاين: إذا تمكنت من تحديد نبات خف السيدة، أقدر على تحديد سيويل.

هنري: فقط: لا وجود للقواعد. ولذا نرحب

إيلاين: بالطبع بك عندما تريدين المجيء في أي وقت تودين.

هنري: ورسوم التعليم؟

جـون: تسديدها. أو اثني عشر أو حول ذلك.

هنري: (تضحك إيلين وجون أما هنري فلا يضحك، إنما ينظر إليهما فقط)

جـون: أنت جون ثورو.

(ملتفتة)

وأنت السحابة الراحدة، هنري.

(يقطب هنري)

إيلاين: ما تجربتك التعليمية السابقة؟

جون: أنهيت المدرسة.

يا إلهي.

نجوت.

ألفت انتباهك، يا آنسة سيويل، أنا وجون
إيلين: لا ندع أحدا ينهي. لا أحد يغادرنا ناعم
السطح مثلما جاء. إننا نجعل الوعي خشنا
ونحك الطحالب عن العقول الشابة.
من فضلك، يا سيد ثورو عد إلى تلامذتك،
هنري: لقد قاطعتكم.

إيلين: طبعاً! إن كل حدث مبدع، يقع في هذا
هنري: العالم، هو نوع من المقاطعة - حدث غير
إيلين: متوقع ولم يخطئ له. والضائعون هم
هنري: وحدهم البشر الذين يحصلون على مكان
ممتع. ولذا فإن الكواكب رفاق طريق أفضل
بكثير من النجوم، تبقى في تجوال جيئة
وذهابا في السماء فلا تعرفين لها مستقرا.

إيلين: (متوجها إلى صفه غير المرئي)

يا تلاميذ لدينا شخص آخر من عائلة
هنري: سيويل، أخت إدموند.

(وإلى الفتاة)

ما اسمك الأول؟

إيلين.

إيلين، سيويل. كتابنا المدرسي، يا آنسة

سيويل، هو مرج هيوود .

(إلى الصف)

في هذا المرج وحده، ثمة ثلاثمائة صنف من الأعشاب المتميزة والمختلفة. لقد صنفتها بنفسى. انظروا إلى الأسفل، ستقولون: «هذا عشب والعشب عشب»، إنه أمر مضحك.

إيلين: لقد فاتكم التنوع الرائع للمشهد. هناك **هنري:** عشبة الحمل وعشبة الحلوى وعشبة السحات وذنب الثعلب وصبىة لندن وإبرة إبليس والريشة وعشبة الجاموس وعشبة التيموثية وعشبة البيادر وعشبة النفلة الكافية بمفردها لتحلية بطون جميع الحملان منذ الخليقة.

(أخرجت إيلين دفتر ملاحظاتها وأخذت تكتب. فجأة ينحني هنري إلى الأسفل ويتطلع إلى شيء ما، وينتزع ورقة عشب متخيلة)

يا جون، انظر إلى هذه. ماذا تعرف عنها؟
لم أرها من قبل أبدا.

إنها عشبة دموع يعقوب. لم أرَ منها هنا أبدا. أيها التلاميذ، انتبهوا، نحن وسط تنوع من الأعشاب يبلغ عددها ثلاثمائة

لكن ليس لأنني أفعل ذلك، أو لأنني طلبت ذلك.

(بلطف) يا آنسة سيويل، أريدك أن تكوني أنت، وليس فكرتك عما تظنين فكرة شخص آخر عنك.

(ملفتا إلى تلاميذه)

جـ_____ون: أيها التلاميذ، ربما أوضحت لنا مقاطعة
الآنسة سيويل جوهر الكتاب المدرسي الذي
إي_____ين: نسميه مرج هيود. أعشاب كثيرة تحت
هـ_____ري: أقدامنا، وسماء لا متناهية فوقنا.

(یقلب بابہامہ دفتر ملاحظتہ)

وإذا دوت ملحوظة حول بريق السحاب أو
ضوء الشمس المنعكس على أجنحة الطير،
لا تكتبوا، فقط لأنني أكتبها أنا. لا تقلدوني
كالقروء أو تتشبهوا بي.

(مؤكدًا، لكن بهدوء)

إذا رغبتُم في مجرد الإصغاء إلى السماء،
أو شمها أو لمسها برؤوس أصابعكم، افعلوا
ذلك، أيضا.

و(بقناعة كبيرة)

لأنني أعتقد أنه يجب وجود أفراد مختلفين في هذا العالم قدر الإمكان. لذلك ليكن كل واحد منكم دقيقا جدا

في اختيار طريقه الخاص والسعي فيه.
(مع تعقيم الإضاءة على الحقل المشمس،
يعود هنري إلى زنزانته المعتمدة)
(بمرح)

بيلي، بيلي، بيلي أستطيع الكتابة! انظر !
انظر إليّ، أعمل ذلك كله بنفسى...!
(يبدأ بيلي من جديد برسم اسمه في الغبار
على أرضية الزنزانة ويمحو هنري بمرارة
نماذج الأحرف في الغبار بقدمه. يرفع بيلي
نظره متحيراً).
لا تتعلم كتابة اسمك.
تعلمت.

(بشكل مشاكس) انسه. كتابة الاسم يمكن
أن تقود إلى كتابة جمل. والشيء التالي
بيـلي: الذي ستقوم به هو كتابة فقرات، ومن ثم
كتب، وعندها سوف تتورط في مشاكل
مثلي أنا!
(باندعاش)
أنت كاتب؟
(لاولياً فمه باشمئزاز)
نعم.

هـنـري: لو عاشت أُمي لتراني أجلس في زنزانة مع
بيـلي: رجل كتب كتاباً، أووو... هاي، كم ستكون

هـنري: فخورة بي. قل لي، هل تركب جميع الكلمات بنفسك.

آه، من وقت لآخر أدون كلمة أو كلمتين قليلتا من قبل. والمسألة الأساسية هي التقاط الكلمات الصحيحة ووضعها في الترتيب بيـلي: الصحيح.

لا بد أن في ذلك ثروة. يقال إن ثمن بعض هـنري: الكتب أكثر من دولار!

لكنها لم تكتمل بعد. يجب وضع أرجل لها. بيـلي: أما الآن فإن الكتاب يجلس في المتجر، عليه انتظار أحد ما ذي أرجل ليدخل المتجر ويجده.

(باندهاش) أواه!

هـنري: (أخرج بيـلي التبغ من معطفه العتيق في الصندوق، هذا العمل يحرر الصندوق من أجل المشهد التالي).

كتابي الأول - وكذلك كتابي الأخير - كان بيـلي: من النموذج الثابت جدا. لقد طبع منه الناشر ألف نسخة، وأعطاني أفضلية في هـنري: عملية الدفع من أجل الطباعة. هكذا فإن جميع النسخ التي لا تباع تعاد للمؤلف. وجميعها جاءت راکضة إلى بيتي، بأرجل أو بلا أرجل.

بيلي: (بجدية)

والآن، يا سيد بيلي، لدي مكتبة تحتوي على
حوالي تسعمائة كتاب، سبعمائة منها كتبها
بنفسي.

هنري: (مشيرا إلى الأحرف المداسة في الغبار)

يا صديقي، اترك وظيفتك الأدبية.
(فجأة، يأخذ هنري صندوق الثياب من
الزنزانة، ويقبله في الهواء رأسا على عقب،
ويجره إلى البروز في منصة المسرح. يأتي
جون ويساعده في المركب).

يا جون، أفكر اليوم أن نطوف البركة
كاملة، وإذا كان هذا القارب ليس كبيرا
ليسع الصف بأكمله، فأنا سوف أصطحب
الرحلة الأولى وأنت تتكفل بالرحلة الثانية.
إنه واسع بما يكفي.

ضيعنا تلميذا آخر.

لا، بل ضيعنا تلميذين.

(بشكل دفاعي) حسنا التعليم يجب ألا يكون
عملية جماهيرية!

معنا، لن يكون.

إن مشروع مدرستنا بالكامل يقوم على أن

هنري: قاعة الدرس تنمو أكبر فأكبر.

بينما تعداد الصف أصغر فأصغر.

هـنري: (توقف قصير)

إنه أبي.

مريض؟

إيلين: ليس بالضبط. الأب قلق لأنه يعتقد أن

إدموند تعلم أكثر من اللازم.

هـنري: أخبار جيدة. كنت أظن أن إدموند كسول

إيلين: قليلا. بالمقارنة مع التلاميذ الآخرين. أي،

عندما يكون لدينا تلاميذ آخرون لمقارنته

معهم.

هـنري: (برشاقة)

إيلين: حسنا، أخبري أباك بأنه لا قلق. سوف أكون

بطيئا مع إدموند.

أخشى أن يكون أبي لا يريده أن يأتي إلى

هـنري: مدرستك مطلقا.

إيلين: (بازدراء)

آه. أبوك معاد للمعرفة.

هـنري: لا، إنه يعادي أصحاب التعالي. وهذا

ما يقوله عنك وعن أخيك أيضا. «عائلة

بأكملها ابتليت بالتعالي»

وهل يعرف أبوك ما هو التعالي.

سألته وحاول توضيحه لي، وكلما استفاض

في الشرح، قل فهمي له، أبي لديه هذه

الموهبة.

إيــــــــــــلــــــــــــين: ليس معلما بالفطرة.
(فجأة)

هــــــــــــنــــــــــــري: آنسة سيويل. اصعدي القارب.
أوه؟

إيــــــــــــلــــــــــــين: بما أنني وجدت نفسي عاطلا عن العمل
بشكل غير متوقع، سوف أصطحبك في
رحلة استكشافية من دون دفع رسوم
هــــــــــــنــــــــــــري: الدراسة.

إيــــــــــــلــــــــــــين: (يساعدها هنري في ركوب القارب)
أبقي نظرك على الخط الفاصل بين الماء
والسما، أنا سأجذف.

هــــــــــــنــــــــــــري: (يقوم بحركات إيمائية لدفع القارب بعيدا،
تضييق مساحة الإضاءة، تهتز الخلفية مع
إحياء بأشعة الشمس تنعكس على سطح
إيــــــــــــلــــــــــــين: الماء، من دون مجاديف مرئية ومع ذلك
هــــــــــــنــــــــــــري: يجذف. ويشير بشكل مفاجئ).

قديما كانت المجاديف من أشجار الأرز على
ذلك الشاطئ البعيد.

(متهدا)

لكن فقدنا الاتصال مع لبنان

أين ذهبنا؟

صارت أخشابا للمواقد وتساعدت مع
الدخان في البيوت.

هل ندرك ماذا نقترف يا آنسة سيويل؟ نحن
نسمم الجنة، نجز الغابات، ونحول الأرض
البائسة إلى صلعاء قبل أوانها.
لكننا بحاجة إلى بناء المنازل يا سيد ثورو.
أم علينا أن نسكن جميعا الكهوف؟
ما فائدة المنزل إذا لم يكن لديك كوكب
يتحمل وضعه عليه؟ وهل تعرفين أن
إيـالـين: الأشجار تصرخ من الألم عند قطعها؟ لقد
هـنـري: سمعتها.

لكن من سيقرع جرس البلدة من أجلها؟
نلاحق البشر قضائيا بسبب الإساءة
للأطفال، وعلينا مقاضاة البشر لإساءتهم
معاملة الطبيعة.
إيـالـين: يقول أبي إن الله خلق كل شيء لخدمة
الإنسان.

هـنـري: أوه، هل وضعنا أبوك الطبيب هنا لنقلب
ونشخر ونلتهم أنفسنا مثل الخنازير؟ لا إن
الخنازير أفضل، على الأقل هي تستهلك
الفتات بدلا من الإسهام في صنعه.
(ثمّة صغير قطار من بعيد).
اسمعي ذلك الصوت، ثمّة عربة محملة
بالخنازير ثنائية الأرجل، خارجة إلى
السوق...

إيــــــــالــــــــين: الطير، أو السباحة، مثل تلك السمكة
هــــــــنــــــــري: هناك؟

إيــــــــالــــــــين: يعرف السباحة قليلا، اعتاد القيام بذلك،
هــــــــنــــــــري: لكنه لا يشبه تلك السمكة.

إيــــــــالــــــــين: مع ذلك تحبينه؟
هــــــــنــــــــري: بالطبع.

حبك يتسامى، يتعالى، على حقيقة أبيض
إيــــــــالــــــــين: وعما ليس هو عليه. إن كل وعي قادر على
هــــــــنــــــــري: تجاوز نفسه، كل..

(تتجههم إيلين قليلا)

اللغة! أضعتك. ضعي يدك في الماء.
(تضع يدها)

إيــــــــالــــــــين: هل تستطيعين ملامسة القاع؟
(تتحني إلى الأسفل)

هــــــــنــــــــري: إنه عميق جداً.

إيــــــــالــــــــين: بالنسبة إلى مدى ذراعك. لكن ليس بالنسبة
هــــــــنــــــــري: إلى المدى الذي يطاله عقلك.

(يتوقف عن التجديف)

يا آنسة سيويل، لماذا يجب أن يقع ما تطالیه
عند حدود جلدك؟

وعندما تتعالين على حدود ذاتك ستكفين
عن مجرد العيش، وستبدئين كينونتك!

لا أمانع أن أعيش ..

إِـيـلـيـن: لكن الكينونة أكثر إمتاعا بكثير.

(ساحبة يدها من الماء)

هــنـرى: أنا خائفة قليلا، فقط، أن «تكون»!

فکری کم ستكونين حرة عندما لا تخافين

أُداء.

ألم تخف أبدا؟

(يفكر ويحقق فيها).

نعم أخاف أن أكون فى هذه اللحظة

«عائشا»، وعائشا فقط.

إيـالـين: (ينحنى إلى الأمام على مجدافيه، ناظرا

ہنری: فی وجہا).

إِيلِينَ: - أن أنظر إليك وأراك فقط. آه، لن يؤذي

مطلقا النظر إليك، صدقيني. ولكن ماذا لو

هـنـرى: كان هنالك ما هو أكثر، وأغفلته؟

أغفلت ماذا؟

إيـلـيـن: ماذا لو أن كل ما هو جميل، في المرأة، في

العالم أوفى «العوالم»

هـنرى: ماذا لو اجتمع كل ذلك فى هذا الوجه،

أمامي، وأنا سخيـف بما يكفـى للتفكير في

أنتى أرى مجرد وجه واحد؟

(إيلين لا تتابع كلامه بدقة، لكنها تسر)

هل هذا مذهب التعالى.

(فقد هنري الاهتمام بالتعالى وأصبح أكثر

اهتماما بإيلين).

إيـلـين: (يستأنف التجديف)

هـنـري: إن كان ذلك يروق لك.

لا أعتقد أن ذلك مزعج، بل إنه لطيف.

ومن يقول إنه مزعج؟

أبي، الليلة الماضية حول طاولة العشاء،

أعطى إدموند لأبي موعظة حول الروح

العليا.

إيـلـين: أحسنت يا إدموند! إن معظم حجرات

الطعام هي معابد حيث الأب وحده يرتقي

منبر الوعظ.

هـنـري: آه، لكن أبي استرد حقه في الحال، وظل

يصرخ حتى وقت الفطور. فقد توقف الليلة

إيـلـين: الماضية عند جملة غير تامة، وعاد إليها

هـنـري: هذا الصباح عند تناول العصيدة.

إيـلـين: حسنا، أنا أكبر قليلا من إدموند. ولكن

يجب علي حتى الآن سماع المقطع الأول

لنصيحة الثمينة من الأكبر سنا.

هـنـري: (ذهبت نظراته إلى الأفق).

نولد أبرياء، تلوثنا النصيحة، ها هي

الحياة أمامنا، مثل سطح هذه البركة،

إيـلـين: تدعونا للإبحار فيها. رحلة، تجربة. تنتظر

التحقيق. هل حاول والدك ذلك من قبل؟

لا فائدة لي، أو لك في ذلك. حافظي على
براءتك يا إدموند.

هنري: أنا إيلين.

إيلين، نعم. يشبه أحدكم الآخر، كما تعرفين.
العيون. كلاكما يصغي بعينيه.
يجب أن أعود.

لماذا؟

أبي ينتظرني.

قفي بجرأة في وجه أبيك.

(يقف هنري، يهتز القارب).

أرجوك، يا سيد ثورو ليس في القارب!

آه

إيلين: (يجلس)

هنري: هل تعود بي إلى الشاطئ، أرجوك؟

كلا، اسمعي. إذا قلت لك «أنا أحبك،

إيلين: سيويل، آنسة سيويل، إيلين «فلن تصدقي

هنري: أن هذا القول إقرار لواقعة إذا كنت تعلمين

إيلين: أنه مجرد صدى، تصويت، لشيء قاله أحد

هنري: ما لأقوله لك.

(باستخفاف)

إيلين: أبّ ما!

هنري: (بهدوء)

لكن لو قلت «أحبك» وكان ذلك نابعا من

إيلين: داخلي، من تجربتي الخاصة، من افتقادي
هنري: لها، من براءتي. عندها سترين أنه من
المناسب تصديقي.

(تسقط الإضاءة على جون والأم، بينما
تلقت إيلين بعيدا عن هنري محدقة في
الماء).

(بسرعة)

يا أمي، هنري عاشق.

(بقلق)

ومن يحب؟

فتاة.

شكرا لله.

(تبتعد الإضاءة عن جون والأم)

(بجمود)

أنا لست واحدة من سمكاتك، أو طيرا من
طيورك، يا سيد ثورو. لذلك لا أستطيع أن
جـون: أصبح أو أطيّر عائدة إلى اليايسة، إنما علي
أن أجلس هنا ببساطة وآمل أن تكون لطيفا
الأم: بما فيه الكفاية لتعود بي إلى الشاطيء.

(لا يتحرك هنري. ينظر إليها. إنها جميلة،

جـون: لكنه عرف أنه أضاع فرصته، وهذا الأمر

الأم: يحبطه).

(متتهدا).

إيـالـين: يا آنسة سيويل، أعتذر إليك. ولسوف أعود

بك إلى الشاطئ بشرط واحد.

أنا مضطرة لقبوله.

تعالى يوم الأحد إلى الكنيسة.

أنت لا تذهب إلى الكنيسة.

بالطبع لا. لا أستطيع المكوث جالسا في

المقعد أضيع يوم الأحد تسلبني الموعظة.

مع ذلك تدعوني إلى الكنيسة؟

مع جون، لدينا تشابه عائلي قوي، أيضا،

هـنـري: وإذا وجدت مقطعا واحدا عندي يستحق

التدوين في دفتر مذكراتك، ستجدين

فقرات كاملة عند جون! ففي حين أنني

إيـالـين: مشاكس، فهو أنيس. وفي حين أنني شائك

هـنـري: وعليق، فهو حديقة، وفي حين أنني هضبة

إيـالـين: جرداء في الشتاء، فهو ربيع.

هـنـري: (يبدأ بالتجديف، ببطء)

كيف تعرف أن أخاك يود اصطحابي إلى

إيـالـين: الكنيسة؟

هـنـري: ألم تلاحظي في يوم مرج هيوود، عندما

عرض عليك؟

لقد تكلم معي فقط.

لذلك لم تسمعيه، لم تفهمي بلاغة صمته.

(يصل القارب إلى الشاطئ المفترض. يقفز)

هنري منه، يقوم بأداء حركات إيمائية تعبر
عن سحبه للقارب إلى الضفة. ثم يساعد
إيلين على النزول).

إيلين: إيلين، بعد وصولها إلى هدفها، تتساءل:
هل وضعت أنا حقاً؟!

هنري: (بمزيج من الشجاعة والأسف)
كان يوماً جميلاً يا سيد ثورو. شكراً لك
إيلين: على شرحك لمذهب التعالي وجعله بهذا
هنري: الواضح.

حقاً، إذا فاتني أي شيء، أسألي إدموند.
ماذا سيحدث لمدرستك؟

(مبتعداً)

راجع إليها. كتلميذ. ربما أستطيع أن أتعلم
من الطبيعة، ومن جون يمكن لمرج أن يكون
مملوءاً بالأزهار، من دون أن يصدر عنه
إيلين: صوت واحد. ولكن إنساناً واحداً - على
فرض أنه أكثر حكمة من النرجس البري -
يمكن أن يقرع على طبلة آذاننا بقوة لكيلا
يسمع أحد ما يحاول قوله هذا الإنسان.

هنري: (إيلين مرتبكة، كان هنري يبدو عنيماً في
إيلين: صمته. ابتعدت إيلين جرياً، خائفة. ونظر
هنري بحزن صوبها، ثم حدق في القارب
الفارغ ورفضه، لقد أشعره ذلك الفراغ

بشيء من الخواء في داخله).
(يتحرك هنري ببطء إلى مساحة الزنزانة.
ويختفي إحياء الضوء على الماء المتموج.
ولا يبقى سوى ظلال الزنزانة الليلية
الطويلة. ببلي غاف على سريريه، يشخر
بلاطف. ينظر هنري إليه).

يا سيد ببلي، ما رأيك بالزواج؟
(أطلق ببلي دفعة شخير ساخرة، أوحى بأن
السؤال أدرك لاوعيه. يوميء هنري برأسه).
يبدو أن ذلك هو رأي الأكثرية.
(يجلس على سريريه. تدق الساعة الحادية
عشرة. يتسع الصوت، أقوى فأقوى، وينبض
بموجات ثابتة).

يا ببلي هل تسمع ذلك؟ لا أظن أنني شعرت
من قبل بأمواج صوت ساعة البرج هذه.
(ضحكة)

هـنري: إنه لأمر مضحك ، هل يجب وضع الإنسان
في صندوق من الحجر حتى يسمع موسيقى
قريته!

(ينادي هنري عبر النافذة ذات القضبان).
شكرا لك، يا كونكورد، شكرا لك لأنك
حبستني ومنحتني حرية سماع ما لم أسمع
من قبل أبدا. وضعتني وراء قضبان حديدية

وجدران حجرية بسماكة أربع أقدام، ومن
أين لك أن تعرفي أنني لست حراً؟ أنا
الإنسان الأكثر حرية في العالم، وأنت،
هناك في الخارج، مغلوطة إلى ما عليك
القيام به صباح الغد.

(ويهمس الآن عبر حاجز الزنزانة المشبك)
تكلمي بنعومة يا كونكورد، أستطيع سماع
أنفاسك.

(ويطلق بيلى شجرة أخرى)
اهدأ يا بيلى. نحن الأحرار يجب أن نصغي
إلى صراخ السجناء.

(تبتعد الإضاءة عن الزنزانة. وثمة إسقاط
لنافذة زجاجية ملونة. أعلى المسرح يقف
صف من المصلين: ديكون بول، سام ستابلز،
والدو، ليديان، السيدة ثورو، جون وإيلين
إلى جانبه، بالإضافة إلى سكان البلدة.
يلبس الجميع ثياب الأحد وينشدون المقطع
الأخير من ترنيمة: «لتتقدس الرابطة التي
تجمع» من ترنيمة «المهاجر»).

(ينشدون بصوت واحد)
لتتقدس الرابطة التي تجمع
قلوبنا في الحب المسيحي،
إلفة العقول النسبية

شبيهة العليا

آمين.

(في منتصف الترنيمة، يهرش إدوارد مؤخرته وتبعد ليديان يده. وبعد كلمة «آمين» تتصاعد موسيقى الأورغ، بينما يبدأ المصلون بالتقاطر إلى المنطقة المضاءة **جمهور المصلين:** بإضاءة مرقطة توحى بظلال أشجار بعد ظهيرة يوم الأحد. تخرج إيلين، ممسكة بذراع جون، وثمة تحلق من المتحدثين حول عائلة إمرسون).

قل لي، دكتور إمرسون، ما شعور الكاهن عندما يسمع قسا آخر على منبر الوعظ؟ بالراحة.

شعور بالراحة لأنك لست من سيقدم الموعظة؟

(بجفاء)

انقضى الأمر.

(تبتسم الأم لجون وإيلين. وفجأة يقع نظرها على شيء يحول روحها إلى جليد. ينظر الآخرون، لكن بدرجات مختلفة من **ديكسون:** الصدمة، بينما هنري، قميصه مفكوك الأزرار، يدفع أمامه عربية مملوءة بالتراب. **والدو:** وبمرح يعبر مباشرة أمام جماعة المصلين

ديكون: المغتسلين والمترسمين. تخفض إيلين
بصرها. ويكبح جون تكشيره، ويتعد والدو
والدو: وليديان برشاقة، ويحاول ديكون بول أن
يبدو قدر الإمكان مثل موسى على الجبل).
آه، يا دافيد هنري: ! ليس يوم الأحد!
(بمرح)

هذا هو يوم الأحد أليس كذلك، هل
حبسوكم جميعا في الداخل، في هذا
الصباح الجميل؟ يالأسف!
كنا نغذي أرواحنا!
يا لأنانيتكم.

(يصل إلى عربته ويذر بعض محتواها غير
المرئي على أقدام المصلين).
كنت أغذي نباتات كونكورد.
الأم: (يجفلون من الرذاذ).

هنري: أجب أرجفة الخبز والأسماك لأزهار الليلك.
(يتحرك بمرح، يدفع هنري العربية مبتعدا،
وجميع الأبصار معلقة عليه).
عمل ليلة الأحد، الشيطان في ماساشوتس.

ديكون: إن هنري يصلي في الغابة.
هنري: ولماذا الكنائس إذن؟
يخطر لي هذا السؤال أحيانا.
(بسرعة)

يقصد الدكتور إمرسون أن الإله موجود في كل مكان.

يا ديكون بول، أنت أكبر مما أظن؟
(وقبل أن يحس بول بالإهانة، يربت إمرسون الطيب بود على كتفه).

ديكون: بالنسبة إليك وإليّ، يا سيد ديكون، فإن إعلان الاستقلال قد كتب وانتهى الأمر
جـ: وعلى الشاب ثورو إعلانه كل يوم، بما في ذلك أيام الآحاد.

والدو: (يتحرك والدو مع ليديان).
ليديان: ما الضرر في أن يُجسد مزاميره المقدسة بعرقه بدلا من إنشادها؟

(يتفرق المصلون. يبتعد جون وإيلين معا.
والدو: تبقى الأم وحدها. تلاحق هنري، بنظراتها وهو يختفي).

آه، دافيد هنري: لماذا أنت شاذ إلى هذا الحد؟

(تتوجه نظراتها إلى السماء).
أرجوك يا رب، لا تجعل جون شاذًا مثل أخيه.

(تغادر. يختفي زجاج النافذة الملون.
وتتحول السيكلوراما إلى غيوم تضيئها أشعة الشمس. وتتطلق ضحكة جون، بشكل

مكبر وذى صدى، عبر حقل منبسط. يأتي
هنري ويقف وقفة المنتصر).
قالت «نعم!»

الأم: (ينفجر ضاحكا، شبه سكران بضحكته)
تهانيّ ، أنا سعيد لأجلك، يا جون! هل تزمع
القيام بذلك بالطريقة الصحيحة؟
أو هل عليك أن تمر عبر هذه الطقوس
القبلية، إعلان الزواج، في الكنيسة، كل هذا
الهراء البدائي؟
(جون، في نوبة من الضحك، يعانق أخاه)
قالت، قالت

(ويضحك من جديد)
قالت «نعم» بالطبع!
هـنـري: (جون، مستمرا في الضحك، لا يستطيع
الإجابة)
لم تقل «لا»؟
لا لم تقل «لا!». .
وماذا قالت ؟
(لا يزال يضحك)
رددت قول أبيها .
أبوها السماوي أم الأرضي؟
جـون: ذلك الذي تزوجته أمها .
حسنا ماذا قال «وجه العصيدة» العجوز؟

هنري: قال..

(يضحك)

قالت إنه قال إن الزواج بأي من الأخوين

ثورو لا يمكن أن يخطر على بال؟

جون: آمين! الأخوان ثورو لم يكن لديهما أبدا أي

هنري: نية بالزواج من أبيها؟

جون: (بشكل أمل)

لكنها واجهته بجرأة؟

هنري: لم أكن هناك، لكن من الواضح أنها جلست.

جون: (يجلس)

هنري: وهكذا فقد ضيعت ستة آحاد صيفية جميلة

جون: تصطحبها إلى الكنيسة!

أقسم إنني لم أصل. كنت أتلصص ناظرا

إلى وجهها من طرف عيني. أتساءل بماذا

كانت تفكر. وأدركت أخيرا أنها لم تكن

هنري: تفكر مطلقا!

إنها فتاة ومن يرغب في زوجة تتجول

مفكرة؟

(يبدأ بالضحك مجددا)

جون: عندما فاتحتها بالزواج مني، مضت لحظة

صمت حُبلَى بالتوقعات.

هنري: حسنا ليست حبلَى، إنما لحظة توقف، ثم

قالت: «آه، يا عزيزي..» في البداية ظننت

جــــــــــــــــون: أن العاطفة تغمرها، بعدها أدركت أنها
كانت تقول «آه يا عزيزي!» فقط.

وبعد ذلك؟

قالت: «لماذا لم يسألني هنري: ذلك؟»،
هــــــــــــــــنري: وقلت: «لو سأل ستجيبين بنعم؟»، وقالت:
«لا، لكن لماذا لم يسألني على أي حال؟»

جــــــــــــــــون: هذه إهانة! تريد تعليق فروتي رأسينا على
شرائط تنورتها!

لن تتزوجك، ولن تتزوجني. ولكن أعتقد
أنها تزوجتنا في لحظة.

هذا ما يُعطي التوحيدية معنى جديدا!
لو كنا مسلمين..

لن يفيد في شيء، الإسلام يقول بتعدد
هــــــــــــــــنري: الزوجات، وليس بتعدد الأزواج.

جــــــــــــــــون: لكن بعد ذلك، يا هنري، دمرت كل شيء.
قتلته وضحكت.

(يضحك هنري قليلا)

هــــــــــــــــنري: ليس على هذا النحو، بل أقوى من ذلك!

(ينطلق كلاهما بالضحك)

جــــــــــــــــون: ليس عليها، تلك الفتاة العزيزة، بل علينا!
كنت على وشك أن أحطم التقليد الأكثر

هــــــــــــــــنري: قداسة لقبيلة ثورو العزوبية!

جــــــــــــــــون: (ضاحكا)

هـنري: كم أنت طيب القلب يا جون! لقد أنقذت الفتاة من الزواج براهب.

جون: أو بزواج من راهبين!

(يضحكان بعمق أكبر).

من في نسلنا ارتكب الزواج من قبل؟

بابا وماما

شرعيا فقط. ما عدا زوج من الهفوات

التي أنتجتنا، أنت وأنا. بابا كان عازبا

طاهرا وماما كانت ركنا أساسيا من أعمدة

العنوسة. وبفضل تحملك الشجاع، يبقى

هـنري: آل ثورو عرقا من العمات العوانس والعزاب،

جميعنا عذراوات سبتمبر!

يا هنري، لم يسبق لي أن أخبرتك حول أحد

جون: أشهر أبريل.

(يرفع هنري إحدى يديه في صفح زائف).

هـنري: يا ولد، إذا استطاع الأب التردد، عندها أنت

جون: تستطيع!

هـنري: (يضحكان معا، ثم يصبحان أكثر جدية)

ذلك ينذر بمستقبل ستيقي فيه وحيدا.

وحيدا؟ أبدا! لماذا، عندما يصبح عمري

تسعين عاما وأنت مجرد طفل في عمر

الثمانية والثمانين فسوف تأتي لتسلّيتي.

عندما تصبح في التسعين يا هنري فسوف

جــــــــــــــــون: أكون مجرد طفل في الثانية والتسعين.
هذا هو الوقت المناسب كي نذهب لطلب يد
إيلين سيويل!

هــــــــــــــــنري: (هنري وجون يتقافزان، يضحكان، كما
لو كانا زوجا من العجائز التسعينية حقنا
«بأكسير الشباب». ثم يتعانقان وهما
جــــــــــــــــون: يضحكان من دون توقف).

هــــــــــــــــنري: (تطفأ الأنوار. وفي الظلام الدامس يقرع
جرس الكنيسة بصوت حزين. وبشكل مُعْتَم
تظهر النافذة الزجاجية الملونة للكنيسة. ثم
جــــــــــــــــون: يسقط ضوء أبيض بارد، على الصندوق
الذي كان قاربا وتحول الآن إلى تابوت).

هــــــــــــــــنري: إلى الرب نسلم روح أخينا الراحل، جون
ثورو، نسلم جسده إلى التراب، واثقين
بأنه سيبعث من جديد إلى الحياة الأبدية
لنصلي.

(أربعة من رجال البلدة بمعاطفهم السوداء
يحملون التابوت. الأم متلعة بالسواد.
ويسير هنري ببطء إلى جانبها. تنتظر في
وجهه)

دافيد هنري. صلّ معي!
(تجثو الأم على ركبتيهما في مواجهة
الجمهور، تشبه تماما من يسير في نومه.

صوت قس: يجثو هنري على ركبتيه. وجهه أشبه بالقناع. تشبك الأم يديها. ويفعل هنري الشيء نفسه بشكل أوتوماتيكي، بصعوبة، تتوقف فجأة، تنظر إلى ابنها الصامت، الذي أنزل يديه)
لا أستطيع يا أمي. لا أستطيع الصلاة.
إنها تفيد.

حقاً؟ لقد صليت من قبل. ما الفائدة التي
الأم: نلتها من ذلك؟

يجب أن نصلي لروح جون.
يمكن لروح جون العناية بنفسها.
يجب أن نصلي لفهم.
أنا أفهم!

(يبتعد هنري، ثم يعود، يقبل رأس أمه.
وبهدوء) يا أمي، صل من أجل ولديك.
(تخفض الأم رأسها، تصلي بينما تبتعد.
هنري: يتلاشى إسقاط الزجاج الملون. وتأتي إيلين
الأم: مسرعة)

هنري: (بتودد)
ماذا حدث؟

الأم: (يهز كتفيه باستهجان).
هنري: لقد مات.
الأم: كنت في وينزروب. لم أسمع إلا بعد مراسم

هنري: الدفن.

تدبرنا الأمر.

كيف حدث ذلك؟ ألم يعرف أحد مسبقاً؟
ماذا تريدان، تقرير طبي، لإرواء فضول
مريض؟

مع ذلك لم أستطع أن أتزوجه.

إيلين: لم تستطيعي؟ حسناً، هذا شأنك.

يا هنري، لا تكن أنانياً إلى هذا الحد مع

هنري: حزنك! الأمر يمسنني أيضاً!

مات ميتة ساحرة، مثل فرسان الطاولة

إيلين: المستديرة الذين تطاعنوا بالسيوف الصدئة

حتى ماتوا جميعاً بتسمم الدم.

هنري: لا أفهم.

إيلين: منذ ثلاثة صباحات وبينما كان يحلق ذقنه

هنري: تذكر جون شيئاً مضحكاً. انفجر ضاحكاً،

وجرح نفسه. كانت شفرة الحلاقة قديمة

إيلين: ومؤذية فأفسدت الدم في عروقه. وبذلك

هنري: (ملتفتاً بشكل مباشر إلى وجهها وبغضب)

إيلين: - هل تحبين التفاصيل؟ التشنج،

الإقياء، عدم كفاءة الأطباء القاتلة،

هنري: شكل اللسان، الاختناق، تشنج الفك،

الوجه الممتقع بالسواد، العيون المتوسلة

للأوكسجين، إل...

والـدو: عدم الارتياح).

هـنـري: أنا ماسوني (*).

والـدو: أنت؟

(بسرعة)

لا، بالطبع لست ماسونيا، إنما أقوم بالبناء.
الأعشاب في حالة حرب مع القطيفة. وفي
زيارتي الأخيرة لها، كانت الأعشاب هي
الرابحة.

حُكمت بالهلاك. فأنا عشبة مثلاً،
وسأَتغلغل بين صفوفها.

وماذا عن الأطفال، يا سيد؟

ماذا عنهم؟

هـنـري: أي هل كان لك تجربة معهم؟

والـدو: جيد، لقد كنت طفلاً ذات يوم باختصار.

هـنـري: (إلى والدو)

من حظ إدوارد الجيد أن يكون لديه شخص
يستطيع اصطحابه للتجوال مشياً على

والـدو: الأقدام وفي القارب.

(إلى هنري)

ليس لدى الدكتور إمرسون ما يكفي

هـنـري: من الوقت ليكون أباً، فهو مشغول جداً

بمحاضراته وكتاباته.

(*) كلمة ماسوني تعني «البناء» وهنا تلاعب باللفظ بين كلمة «ماسوني» الشخص الذي ينتمي إلى الماسونية، وكلمة «ماسوني» بمعنى البناء.

والدو: عندما سأكون مع ولدكم، يا دكتور إمرسون،
هنري: يمكن أن أعود بذاكرتي بشكل مؤقت..
ليديان: أعتقد أن هذا تدبير جيد، بالطبع تبقى
هنري: مسألة التعويضات.
ليديان: لقد دفعت لي.

(يرفع والدو حاجبيه، متحيرا)

وبما هو أكثر أهمية بكثير من النقود وأكثر
قيمة، فالكلمات التي كنت ترشقها بين
النظارة من منصة المحاضرات، أنت
لا تعرف أبدا ما كان يحدث لها. أليس
كذلك؟ مثل إمبراطور روماني كان يقذف
النقود إلى الحشد حوله بينما كان يجول
هنري: راكبا عبر شوارع المدينة.

كان الأباطرة الرومان يحاولون بذلك شراء
والدو: الشعبية.

والفقراء لم يكن لديهم سوى الذهب.
هنري: لا عجب، روما سقطت!

(يزداد انفعالا)

لكن أنا جلست على العشب في باحة
هارفارد وسمعتك تتحدث للمرة الأولى.
كنت في الصف الأخير من المجتمعين، لكنني
أعتقد أنني التقطت من القطع النقدية أكثر
من المحتشدين عند عجالات عربتك.

(إلى ليديان)

قد يكون ممتعا أن يكون لدينا مساعد

والدو: هارفوردي مثل هذا الرجل.

(إلى هنري)

هنري: أنا مُعْدم، كما تعلم. ولست محظوظا مثل

القياصرة، بل يجب عليّ أن أضرب قطع

نقودي جميعها، مثل رجل يجلس إلى

منضدة ويتساءل باستمرار: هل هذا ذهب

أم قصدير؟

آسف، فلقد كانت استعارة مغلوطة، النقود

مجرد نقود، أما الفكرة فلا تستطيع

تبيدها مطلقا، فهي تبقى بانتمائها لك

والدو: على الرغم من أنها تغني الآخرين!

(باتهام)

أنت تفكر، يا سيد ثورو. بالمناسبة، إذا كنا

سنستخدمك هنا، أنت، يدك ورأسك، من

المرجح لن يكون من الممكن الاستمرار في

مناداتك بـ «سيد ثورو». أعتقد أن أمك

تتاديك بـ «دافيد»؟

اسمي «هنري».

(بجفاء)

هنري: لقد سمعتي أمي «رالف» ويمكنك أن تتاديني

بـ «الدو»

(ضحكا وتصافحا)

وليديان، بالطبع «ليديان»، وإدوارد، أين

والـدو: إدوارد؟

(ينادي) إدوارد، يا إدوارد!

أعتقد أن من المهم أن تلتقي بإدوارد للتأكد
من أنكما ودودان.

ولماذا لا يكونان ودودين؟

(جاء دور إدوارد. عمره ثمانية أعوام، له

هـنـري: حياء وتحفظ ابن أب مشهور)

والـدو: (لأبيه)

نعم، يا سيدي؟

صافح يا إدوارد السيد ثورو وبقوة.

(يتصافح إدوارد وهنري):

ستكونان صديقين رائعين.

(بعفوية)

لا أرى أي مانع.

ليـديان: (بجدية)

فرصة سعيدة يا سيد؟

والـدو: (إدوارد حذر في صداقاته)

ألن يكون رائعا، يا إدوارد، وجود عضو

جديد في العائلة؟

إدوارد: (بشكل مطيع).

بلى، يا ماما.

والدو: (إلى زوجها)

لكن يجب ألا نتوقع من هنري أن يعمل
مقابل أجر سخي مساو لما ندفع لإدوارد،
هنري: وهو لا شيء.

ليس صحيحا، صباح كل سبت، ممطرا أو
إدوارد: صحوا، يحصل إدوارد على دايم(*) براق
وجميل.

(متفاجئا وباستغراب)

ليديان: أنا أحصل على دايم؟
أودعه لك في البنك من دون تأخير.

إدوارد: (بابتسامة باهتة)

وبعض الأسابيع ندفع لك أكثر.

ليديان: (يضحك الطفل، من الواضح أنه يرتاح مع
أمه أكثر من راحته مع أبيه)

(يصرف الطفل، وبشكل آلي إلى حد ما)
هذا كل شيء يا إدوارد. عُد إلى دروسك.

والدو: نعم يا أبي.

(ويعدو الطفل بسرعة)

(مراقبا الطفل المبتعد)

إدوارد: إذا كان ذلك يرضيك، سأخذ الأجر نفسه
مثل إدوارد وأحاول أن أكون جديرا به.

والدو: يا هنري، أنت رجل أعمال سييء.

(*) عشرة سنتيمات.

ليديان: أنا لست رجل أعمال على الإطلاق، عندما لا تدفع لي أجرا منتظما لن أكون مجبرا على الالتزام بساعات عمل منتظمة. فأنا أحب إعطاء حياتي هامشا واسعا.

والدو: (بسرعة)

لكن أؤكد لك، أنني سأنجز الأعمال. إدوارد: عندها من الأفضل أن ندفع أجورا أسبوعية. وهل بالضرورة تكون الأجور نقودا؟

هنري: ألا يمكن أن تكون...

(يتوقف، ثمّة إسقاط رقيق لأوراق

خضراء وموسيقى ناي بعيدة، يتوقف

والدو: هنري لسماعها، يحدق والدو وليديان فيه

هنري: باستغراب، بينما يرنو هو بنظره بعيدا تجاه

والدن، بعيدا إلى مؤخرة القاعة أو أبعد).

كم يمتد المرج خلف منزلكم؟

حتى الغابة.

ضمنا الغابة؟

جزء منها إلى شاطئ البركة.

والدو: (ترتفع موسيقى الناي، وتتسارع، تتسارع

الأفكار داخل رأسه).

هنري: لربما، ذات يوم، إذا وجدتم عملي مفيدا

لكم، وإن بقينا أصدقاء، ربما أطلب منك

جزءا من الغابة.

(بسرعة) مساحة صغيرة، لا تتجاوز مساحة
هذه الحجرة، ليس كهديّة، لا أريد امتلاكها،
مجرد تفاهم أصدقاء، يدركون أن الأرض
ملك للمراميط، في مطلق الأحوال.
وماذا ستفعل بها؟

والـــــــدو: لست متأكدا تماما، مجرد فكرة، «تجربة».
هــــنــــري: (تخفت موسيقى معزوفة الناي، ويتلاشى
والـــــــدو: إسقاط الأوراق)
تفكير سليم يا هنري، تخطط للمستقبل،
لتقاعدك.

هــــنــــري: تقاعد؟ أي فكرة حمقاء هذه، لماذا نضيع
أفضل جزء من حياتنا؟ ولم الشقاء، شقاء
كلب لنلهث للحظة أو لحظتين قبل أن نموت؟
(يضحك والدو)

«حكي لي كارليل عن رجل إنجليزي هاجر
إلى الهند، «أنجيا» كما يسميها، ليجمع ثروة
كبيرة ويعود بها إلى «ليك كانتري» ويحيا
ليــــديان: حياة شاعر.

هــــنــــري: لو كانت فيه لمسة شعر لاندفع إلى العلية
ومكث فيها.

كان عليه، لكنه مات في البنجاب، يملك
والـــــــدو: ثروة هائلة لكن دون أي مقطع شعر باسمه.
هل يمكن لهنري أخذ قطعة من الغابة من

هنري: أجل تجربته؟

حسنا. لا أعرف نوع التجربة في ذهنك،
ولكن إذا لم تمنع المراميط فلماذا سأمع
أنا؟

شكرا، دكتور، أو..

والدو: (يصحح الاسم)

والدو.

(إلى زوجته)

ليس لدي متسع من الوقت لكتابة قائمة
هنري: بجميع الأشياء التي بحاجة إلى العمل.
يا ليديان، هل تستطيعين الدخول مع هنري
والدو: في التفاصيل، مختلف الأشياء التي..

لا تضعي قائمة، ستبوح لي الأشياء بحاجتها.
ليديان: آه، أي إخلاص هذا! المشكلة عندما تستأجر
أناسا لمساعدتك، يقومون بما كلفتهم به
والدو: دوما، ويجيئون قارعين على بابك قائلين:
«ما العمل التالي؟»، ويكون ذلك دوما، بينما
تكون أنت ممعن التفكير في ما عليك فعله

هنري: تاليا؟

أنا أحترم خصوصية الإنسان، لن أقرع
مطلقا باب مكتبك.

والدو: لا تكن شديد الغرابة، يا هنري. أوه، حتى
أنا يمكن أن أقطع عملي بين فترة وأخرى

وأطلب منك مساعدتي في إصلاح جدار
متداع أو في قلع بعض الأعشاب الضارة.
أنا إنسان غير مؤدب. سأكون صريحا معك
هـنري: حتى مع مرجكم الخلفي.

(يفادر هنري ويحرق والدو وراءه)

والدو: قليلون من يفهمون هذا الشاب. فهو
لا يطلب شيئا.
ربما يريد الكثير جدا.

(انطفأت الأنوار جميعها ما عدا ضوء
القمر على زنزانة السجن. يتمشى هنري
عائدا إلى الزنزانة، يقف جانب النافذة
هـنري: المخططة ويصغى مرة أخرى إلى أصوات
كونكورد. يرتعش بيلى مستيقظا ويجلس
والدو: بشكل مفاجئ)
كم الساعة؟

إلى أين تنوي الذهاب؟
إلى النوم ثانية، لكن أود أن أعرف كم مضى
هـنري: من الليل.

في سمرقند الوقت ظهرا تقريبا.
أهي قريبة من بوسطن؟
ليديان: إنها بعيدة جدا، بقدر ما تتصور، عن
بوسطن.

والدو: لا أستطيع أن أتصور أبدا كيف يمكن أن

يكون توقيت هنا وتوقيت آخر في مكان آخر. ألا يجب أن يكون واحدا في كل مكان. أنت أكثر حكمة من معظم الناس الذين يحملون ساعات، لا أعرف ما الفائدة من تعليق الأرقام على الساعات. أنت لا تستطيع أن تعد نهرا يتدفق بجانبك. **بيلي:** وخير ما تفعله هو أن تخلع ملابسك وتسبح **هنري:** فيه. وحين يغمرك الماء من كل جانب، **بيلي:** ستكون عندها جزءا من النهر الكلي، حيث كان وحيث يكون وحيث يتدفق. اغطس فيه. **هنري:** لا أجيد السباحة. **بيلي:** وأي صعوبة في ذلك. هناك صعوبة **هنري:** واحدة، فأنت لا تستطيع أن تصارع الماء، فإذا ما طوحت بذراعيك لتخترق **بيلي:** بهما الماء وتغالب التيار، فإنه سيهزمك، ولسوف تنزل تحته. (ثمة سكران، يتضحك بشكل متقطع، **هنري:** يسير متمايلا عبر البروز، إبريق البيرة الإنجليزية لا يزال في يده، يجفف الإبريق، يندفع بوحشية. ينهض بيلي عن سريره، يتوجه إلى النافذة بجانب ثورو. وينظر كلاهما إلى الخارج). لقد غاص عميقا جدا.

(ومع نغم متكسر لأغنية سكرى، يلوح

السكرير بيده)

بيلى: غريق وسكران بالجة والحضارة.

هنري: هل تشرب؟

وأنت هل تشرب؟

عندما أستطيع توفير ثمنه.

لا يكلف السكر شيئاً. لكنه ليس ضروريا

ولا حاجة لنا به. يمكن للمرء أن يكون

سكرانا طيلة الوقت. يمكنك أن تسكر من

الهواء، هناك حيث أسكن.

(باهتمام مفتون)

وأين تسكن؟ عندما يطلقون سراحك، يمكن

أن آتي وأسكر معك. حين يطلقون سراحك.

إلى أين ستذهب؟

بيلى: إلى الغابة بجانب البركة.

(تتناهى إلى مسامعنا معزوفة ناي مع

إسقاط الأوراق الخضراء)

هنري: بعيدا عن كل شيء؟

بيلى: آه، حيث أسكن، لدي عدد كبير من

هنري: الأصحاب، لكن ليسوا من البشر.

بيلى: ألا تخاف في الليل والعتمة؟

هنري: ولم الخوف؟ جميع الساحرات قد شنقن.

ولقد ابتكرت المسيحية والشموع.

تعيش هناك طوال الوقت؟
كل الوقت.

بيلي: (بكآبة) أرغب في مكان أنتمي إليه. أتعجب كيف يستطيع الإنسان تحصيل نقود لامتلاك بيت يخصه.

هل تريد أن تعرف كم كلفني قصري؟ ثمانية
هنري: وعشرين دولارا واثنى عشر سنتا ونصف
السنت.

هائل، كنت أظن دوما أن البيت يكلف ثروة.
بيلي: مئات الدولارات أو أكثر، كيف تأكل؟
هنري: بشكل ممتاز، لديّ هناك بقعة فاصولياء،
وبعض الذرة، وأصطاد الأسماك في والدن
بيلي: من وقت إلى آخر.
هنري: وفي الشتاء؟

في الشتاء يهطل الثلج؛ لذا لن يكون عليّ
بيلي: حتى الذهاب إلى البركة طلبا للماء العذب،
هنري: أخرج إلى البوابة فقط، وأجلب قبضة من
بيلي: الثلج، أذيبه، وهو عذب عذوبة السماء.
(يتوارى إسقاط الغابة، وصوت الناي)

آه هناك بعض الأشياء القليلة التي يجب
هنري: إحضارها من البلدة، لذا أذهب إلى هناك.
(عندها يتقدم هنري إلى مقدمة المسرح
بعد أن يخلع إحدى فردتي حذائه ويدخل

بيلى: يده فيها ويخرج إصبعه عبر ثقب في النعل،
يسير مرتدياً فردة حذاء وأخرى يحملها.
هنري: تخمد الإضاءة على الزنزانة ويعاود بيلي
الرقاد على سريريه في الظل).

(الوقت بعد الظهر من يوم تموزي حار.
بيلى: البروز (اللسان) عبارة عن شارع رئيسي
هنري: في كونكورد. بضعة أشخاص يمرون بجانب
هنري. ينظرون إليه باستغراب وفضول،
فهو يرتدي فردة حذاء ويحمل الأخرى
بيده. بينما هنري يبدو غافلاً عن ذلك.
يهز رأسه، محيياً المارين بفردة حذائه.
يمر بجانبه ليكون بول، يرمق هنري بنظرة
ازدراء)

هل تنازلت للقيام بزيارة للحضارة، يا سيد
ثورو؟

زيارة مختصرة، وعلى مضض.

وكيف هي الحياة بين المتوحشين؟

إذا بقيت في كونكورد وقتاً كافياً، يا ديكون،
سأبتين ذلك.

(يحييه هنري بفردة حذائه مرحاً ويتابع
سيره الأعرج).

(يسير سام ستابلز متمهلاً صوب هنري.
ويمسك قطعة ورق باشمئزاز)

سام: (بحزم)

هنري: لدي هذا الأمر. ويجب أن أبلغك إياه.

سام: (ويدفع بالورقة الرسمية إلى هنري)

(بنوع من الهدوء المتعجرف)

لماذا، شكرا، سام.

(يأخذ هذه الورقة وينظر فيها، يطويها ببطء،

يجعدها باعتناء ويدسها في فردة حذائه،

يلبس هذه الفردة. ويسير بضع خطوات)

هنري: تمام، تناسب بشكل رائع، هذا ما أحтаجه

سام: بالضبط. ربما لم يعد عليّ الذهاب إلى

هنري: الإسكافي.

سام: (منزعجا)

لكن هذه الورقة رسمية، يا هنري، لا يجوز

أن تدسها بهذا الشكل.

هنري: ولم لا؟ إنها أفضل شيء حصلت عليه من

سام: الحكومة حتى الآن. على الأقل الأكثر عملية.

انظر، لا يسرني ذلك كله أنا أيضا، أبلغك

أمر المحكمة، هذا عمل غير سار أحيانا.

هنري: عندها اترك وظيفتك. إذا كنت لا ترغب

في أن تكون شرطيا يا سام، استقل.

لكن الناس يحتاجون إلى من يقوم بهذا

العمل.

تعمل من أجل الناس إذن؟

نعم.

حسنا، أنا «الناس»، وليس عليك العمل من أجلي. أنت حر، أنت مطرود إذا كان ذلك

سام: يجعلك أكثر سعادة.

انظر يا هنري، هل ستدفع الضريبة أم لا؟
هل تدفع أنت ضريبتك، يا سام؟

هنري: إذا لم أدفعها، سيكون من واجبي توقيف نفسي.

سام: هل ستوقفني؟

(توقف طويل. ينظر الرجلان أحدهما إلى

هنري: (الآخر بهدوء)

لا أرغب في ذلك يا هنري، لكن الحكومة

سام: تتشدد بخصوص الضرائب خلال هذه الحرب.

هنري: (هنري هادئ جدا ولكن بدأ الدم يغلي في عروقه)

هنري: لكنه ليس مبلغا كبيرا على أي حال، إذا استكثرت سأتكفل به.

(منفجرا)

سام: إياك أن تتجراً!

هنري: بمنزلة دين، فقط، تستطيع أن ترده عندما..

سام: (والآن انفجر جميع الغضب المصهور داخل هنري دافيد ثورو مثل حمم بركان تائر)

هـنري: لن أدفع بنسا نحاسيا واحداً إلى حكومة
ظالمة! أنا لم أدفع العُشر(*) ولا التعرفة إلى
الكنيسة، لذلك أعلنت براءتي من الكنيسة!
سام: حسنا والآن مستعد يا سام لأعلن براءتي
من الحكومة، أين أوقع؟
أين؟

ليس باستطاعتك فعل ذلك.
لماذا لا أستطيع؟
(بضعف)

هـنري: يا للرئيس المسكين! وماذا عن المحافظة على
شعبيته والقيام بواجبه. إنه لا يعرف ما
سام: الذي ينبغي فعله.
إذا قالت الأغلبية..
أنا الأغلبية، أغلبية الواحد!
(من طرف الحشد)

هـنري: أوقفه!
(متذمرا)
لا أريد أن أوقفه..
تصرف، أيها الشرطي. لا يمكن لرجل
شريف أن يدخل هذه البلدة ليرتق حذاءه
أو حتى فردة حذائه.

(*) العُشر: هو عُشر الغلة أو الأموال التي تدفع للكنيسة.

سام: (يخلع حذاءه من قدمه بقوة، ينتزع الورقة

هنري: من داخله ويلوح بها)

سام: من دون أن يتجمع جيرانه حوله ليضربوه

بمؤسساتهم القذرة.

هنري: (وللمرة الأولى، يدرك هنري أنه محاط

بحلقة صغيرة من الناس فيتوجه إليهم وإلى

سام بالكلام على حد سواء)

سام: سأقول لكم هذا، لو كان هناك ألف رجل،

هنري: مائة رجل، عشرة رجال، عشرة رجال

بول: شرفاء فقط، إذا كان هناك رجل شريف

واحد في ولاية ماسوشيتس هذه لديه

سام: القناعة والشجاعة لإعلان انسحابه من

هذه الشراكة غير المقدسة وتحمل السجن،

هنري: فسيكون ذلك بداية حرية حقيقية تفوق

ما شاهدناه منذ أن قام بضعة مزارعين

شجعان بقطع الطريق ومحاصرة بريطانيا.

(ويشير بيده بعيداً).

خارج عن القانون!

وهل هناك قانون يقف مع حرية الإنسان؟

على البشر تحرير القانون. وإذا كان

القانون خاطئاً فإن واجبه أن يقف ويعلن

ذلك. حتى لو أراد مجتمعه الشاذ أن يزعج

به في السجن.

هذه ثورة!

نعم يا سيد، هذه ثورة! وماذا تظن قد حصل
على جسر كونكورد؟ اجتماع للصلاة؟
(مشيرا ثانية. ويتأكد)
ما الذي تحاول فعله، يا هنري؟ إلغاء جميع
القوانين؟

قدر ما أستطيع.

ولم هذا الحمام كله؟

لا يريد دفع ضريبته.

وأنا لن أدفع.

صوت آخر: (مشيرا إلى هنري)

هـنـري: ياه، لكنه ضد دفع الضريبة.

يا هنري، سوف يقلبون معدتك. إذا اندفعت

إلى الشارع كالمجنون ضد المجتمع.

المجتمع هو الذي «يندفع إلى الشارع

كالمجنون» ضدي. أنا ذاهب إلى الإسكافي

مـزارع: فقط. لا أهتم بشيء آخر. لا أطلب من

هـنـري: الحكومة شيئا. لماذا يجب أن تأخذ هي

مني؟

ارم به في السجن!

سـام: ماذا تنتظر، يا سام؟ أخرج الأصفاد، جрни

إلى السجن.

هـنـري: لا بد من أن يكون هناك خطأ عظيم عندما

المزارع: تمتلك الإنسان رغبة كهذه الرغبة في
سام: الذهاب إلى السجن!

المزارع: المسألة بسيطة جدا. ما تفعله حكومة هذا
سام: البلد يقلب معدتي! وإذا أبقيت فمي مغلقا،

فأنا مجرم أمام ضميري، أمام ربي، أمام
المزارع: المجتمع، وأمامك أنت يا سام ستابلز. تريد
مني دولارا؟ إن لم تحصل الطريقة التي
هنري: سيصرف بها هذا الدولار على رضاي،
فإنك لن تناله أبدا.

أقسم إنني لا أستطيع أن أتصور ما الذي
يجعلك بهذا البخل، يا هنري.

هل سمعت بما يفعلون في واشنطن؟
بول: أنا، حسنا، ليس لدي الوقت لقراءة
هنري: الصحف، كما أنني أقرأ ببطء.

افتح أذنيك، واكتشف ما الذي يشغل
سام: مستخدمك في البيت الأبيض.

إنه ليس رئيسي فقط، هو رئيسك أيضا.
لا يا سيد. أنا لا أدفع مرتبه، إنه مطرود
هنري: من وظيفته!

أنت تحترم الدكتور إمرسون وتقدره عاليا
أليس كذلك؟
عادة.

لقد سدد ضريبته.

تلك مشكلته، أنا لن أدفع الضريبة.

كل ما أعرفه، ليس من المناسب زج رجل
 سام: من هارفورد في السجن، خصوصا ثورو.
 أنا لم أعرف رجلا أشرف منك يا هنري.

هنري: هل هذا إطراء، يا سام؟

سام: نعم، يا سيد.

شكرا لك. والآن زُجَّ بي في باستيلكم.

هنري: (يمد يديه لوضع الأصفاد عليهما. يتهدد
 سام، ينظر حوله إلى الحشد الصغير من
 سام: رجالات البلدة. يهز كتفيه بلا مبالاة ومن
 هنري: دون أمل، ويقود هنري مبتعدا. وتخيم فترة
 صمت مملوءة بالتوقع)

سام: من الأفضل أن يذهب أحد ما ويخبر أمه.
 لكن لا تدعوا خالته لويزا تعرف بذلك. وإلا

هنري: أصيبت بنوبة هستيريا.

سام: (تفكر المرأة وتقول باستمتاع)

هنري: أنا ذاهبة لإخبارها!

سام: (تخرج مسرعة. يتبعثر الحشد في مختلف
 الاتجاهات، ويتلاشى الضوء عن مقدمة
 المسرح).

(يدخل هنري وسام إلى الزنزانة. يبلي على

هنري: السرير متدثرا ببطانية، لا يدرك هنري في

سام: البداية أن معه زميلا في الزنزانة. سام

هـنري: يحمل حلقة مفاتيح يلقيها على السرير،
وكذلك دفتر تسجيل مهترئ. وهنري
يتفحص المكان).

ليست زنزانة ممتازة، لكنها نظيفة.

(يرسل بيلي شجرة قوية)

وموسيقى، أيضا، مهدئة للأعصاب.

المزارع: (بينما يبيلل برية قلم الرصاص في فمه)

امـرأة: والآن يا هنري يجب أن أدون عمرك.

تسعة وعشرون ربيعا.

(يكتب بصعوبة)

اثنين، تسعة. العمل؟

لماذا تريد ذلك يا سام؟

إذا لم أملأ السجل بدقة، فإن الإدارة لن

تصرف مخصصاتك من الطعام.

(مشيرا برأسه تجاه النائم)

ما عمله؟

هو! متشرد.

أنا أيضا متشرد.

(منزعجا من كل ما يقوم به)

يا هنري، هذا ليس عملا بل تهمة أخرى!

سام: أعطني مهنة ما لأدونها. من أنت بدقة؟

من أنا؟

هـنري: (مفكرا)

سام: آه، عاذق فاصولياء، صياد سمك، مراقب
للعواصف الثلجية...

هنري: (بنفاد صبر)

سام: هذه مهن غير مقبولة.

تريد مهنا محترمة؟ لنر. صانع أقلام

هنري: رصاص، في فترة ما، معلم مدرسة ذات

سام: مرة، مراقب نجار، مؤلف، مدع، صائدا

لتوت العليق، خبير...

هنري: (يكتب)

نجار. هذه مقبولة.

سام: انتبه يا سام، لسوف تصدم رجال الدين إذا

هنري: سجنتم نجارا.

سام: (بعد تفكير قليل)

سُجِلت.

(يغلق السجل بقوة ويخرج، هازا رأسه.

هنري: تتحول الإنارة في الزنزانة إلى ظلام

بالتدريج وببطء. وثمة أصوات ملحاحة

ومتنافرة لجرس منزل. تقع الإضاءة على

منزل إمرسون. تظهر ليديان في قميص

سام: النوم. تقرأ ورقة تمسكها بارتباك واهتمام)

(من بعيد)

هنري: من هناك؟ سأفتح.

أخذتها، يا عزيزي.

(يظهر والدو في رداء الليل، ويلبس قلنسوة النوم)

سام: (بشكل متكاسل)
سأفتح، سأفتح. آه، ليديان، ماذا تفعلين
هنري: هناك؟

(إلى والدو، مشيرة إلى الورقة)

سام: تتعلق بهنري. إنه في السجن.
يا رب مساعدتك! لماذا؟ ماذا فعل؟
ليس واضحاً.

قتل ديكون بول! أحد أعمال الرحمة التي
يقوم بها هنري!
لا..

هل وجدوا ديكون بول مقتولاً، ويتهمون
هنري؟!

والدو: لم يقتل ديكون بول.

آه سييء جداً. دعيني أر ذلك.

ليديان: (تناول الورقة. وفي الوقت نفسه تنزل
الإضاءة على مدام ثورو شديدة الاضطراب)
كل ليلة، يا لويزا، كل ليلة أرى هذا الكابوس
المريع، أحلم أن هنري في السجن. لكن هذه

الليلة لم أضطر للذهاب إلى النوم!

(تختفي الإضاءة عن مدام ثورو. وفي

ليديان: الزنزانة، يدخل سام مرة أخرى ويقف على

بوابة الزنزانة)

والدودو: قبل أن أخلع حذائي هذه الليلة، يا هنري،
ليديان: لماذا لا تسدد ما عليك وتدعني أتركك
والدودو: تخرج من هنا؟
(بلطف)

ليديان: اخلع حذاءك، يا سام.
والدودو: (لا يزال سام متردداً. وفي منزل إمرسون،
استيقظ والدو تماماً)

ليديان: يا ليديان يجب أن ألبس حذائي، أين
والدودو: معطفي؟ يجب أن أذهب إلى ساحة كونكورد!
(يجلس والدو، يلبس حذاء مدبباً من دون
جوارب، تناوله ليديان معطفه الخارجي
الأم: الأسود، ويلبسه فوق قميص النوم)

سوف تذهب على هذا النحو؟
وقع هذا الشاب في ورطة!
(ينطلق. تخلع ليديان قبعة الليل بسرعة،
بينما يسرع والدو مبتعداً. ويتلاشى النور
عن منزل إمرسون)

سام: (راجياً)
أرجوك أن تدفع يا هنري.
(كان هنري كالبركان في السابق، ولكنه الآن
هنري: بارد وصارم)
حين تطلب مني أن أدفع ثمن بندقيّة، فذلك

يساوي أن تطلب مني أن أطلق بها! وأنت
تريد أن تجعل مني قاتلاً مثل أي جندي
والـدو: من المشاة ينتهك حدود المكسيك البعيدة،
وينتهك حرمة منزل جاره ليضرم النار فيه
ويقتل أطفاله!

(يتملى الرجلان أحدهما في الآخر. مرتبكا
يهم سام بالمغادرة. يذهب هنري إلى السرير
ليديان: ويصرخ)
والـدو: يا سام!

(يعود سام بخطوات مسرعة وتوقع، ظانا
أن هنري قد غير رأيه)
لقد نسيت مفاتيحك.
سام: (يتناول سام رزمة المفاتيح)
(محبطاً)
أوه.

(يأخذها، يخرج ويفلق الباب. يحدق هنري
هـنـري: خلال القضبان، مصيخاً إلى صمت الليل
في البلدة. ومن مؤخرة المسرح، وكأنه
صوت يخترق ساحة الكونكورد، صوت
يقطع الصمت)

هنري! يا هنري! ماذا تفعل في السجن؟
(يستدير هنري، وبشكل مواجه، مستجيباً
للتحدي)

(بتحد وباتهام واضح يشير عبر ساحة الكونكورديا والدو! وماذا تفعل أنت خارج السجن؟)

وتطفأ الأنوار

سَم:

والدو:

هنري:

الفصل الثاني

white

(يُسلط الضوء على زنزانة السجن، يمر ضوء القمر عبر القضبان من زاوية جانبية. السريران غير مضامين، إنما يسقط الضوء على المساحة الواقعة بينهما. تدق ساعة البلدة مرتين، ويكشف الضوء الخافت بالتدريج شكل رجلين يبدوان من دون حراك: نائمين يتحرك هنري، يسعل، ينهض بانزعاج، يتمشى عدة مرات، يذهب إلى النافذة ذات القضبان. يرفع يده في الإضاءة البيضاء لنور القمر. يلمس القضبان. ومن ثم، بنوع من شطح الخيال يتظاهر باقتلاع القضبان كما لو كانت القضبان أوتار قيثاره).

هـنري: (مقلدا أوتار القيثاره)

تنك... تنك... تنك... تنك

(يخلط القضبان كما لو أنه يعزف بتسارع على الأوتار. ويتوقف فجأة ليلتفت إلى زميله في الزنزانة)

هناك في سجن السماء، يعزف الملائكة الموسيقى على هذا النحو.

(يتمشى)

لقد أخبروني بذلك.

(يتمشى بضع خطوات)

من دون أن أكون هناك.
(يتمشى أكثر)
وغير راغب بالدعوة إلى هناك.
(يجلس هنري على سريره ويتحدث إلى
بيلي النائم)
هل تعرف ما قالتها الحكومة، يا بيلي؟
«نقودك أو حياتك» لن أعطيها نقودي وهم
يظنون أنهم أخذوا حياتي!
فقط جسدي. أنا إنسان حر. حر في
ملامسة أنفي إذا أردت
(يلامس أنفه)
وحرّ في ألا ألامسه.
(ينزل يده)
حر في الوقوف. أو عدمه. لا يستطيعون
سجن أفكاري! وما أؤمن به يخرج بسهولة
عبر هذه الجدران - وكأن الحجارة هواء.
(ويومئ إلى الأمام حيث لا جدار في
الحقيقة)
الدولة خائفة جدا منا يا بيلي، لذلك
حبستنا. إن الدولة خجولة كأرملة مع
ملاعقها الفضية! لقد أرعبناها حتى
فقدت صوابها.
(أضواء الإنارة على ليديان)

ليديان: لديك من الذكاء ما يكفي يا هنري لتدرك
أنه لكي تستمر يجب أن تتقدم!

هنري: (ينفجر ثانياً مثل بركان ويصرخ، بقرف)
تقدم! تقدم! تقدم!

(تتناول ليديان سلة فريز صغيرة)

ليديان: يا إدوارد؟

(يأتي الصغير راكضاً إليها)

اذهب مع السيد ثورو.

إدوارد: إلى أين سنذهب؟

(يتمشى هنري مع الزنزانة إلى البروز.

يرتدي بسرعة وأناقعة قبعة من القش

عريضة الحواف كان ارتداها من قبل وصار

البروز مرجاً مشمساً)

هنري: لاصطياد توت العليق، يا ولدي! هل

ترغب دراسة تأليف الموسيقى مع

موزارت؟ والرسم مع مايكل أنجلو؟

ودراسة صيد توت العليق مع ثورو، إنه

الأمر نفسه!

(يضحك إدوارد، تتوارى ليديان بينما يسير

موكب صيادي توت العليق عبر الحقل

الطافح بأشعة الشمس)

والآن، عندما كانت في مثل سنك - هذا إذا

حدث يوماً وكنت بعمر ك - كانت أمي تطبخ

لنا فطيرة توت العليق. وكانت الفطيرة
الأفضل في كونكورد. وكانت الفطيرة هي
كل ما كنا نأكله: أمي، أبي والعم تشارلي
والخالة لوزيزا وأخي جون. وكان لي الفخر
باكتشاف توت العليق! مغامرة برية، نصف
يوم تحت سماء كونكورد.

إدوارد: كيف تجد توت العليق؟ أريد اكتشاف
بعضها!

هـنري: (مفشيا سرا كبيرا)
من الصعب العثور على توت العليق. لأن
معظم الناس يعتقد أنه بعيد، هناك!
(ويشير بإشارة دراماتيكية)

إدوارد: وهل علي الذهاب إلى هناك؟
هـنري: لا يا سيد! أفضل أنواع العليق هي تلك
الأنواع الماكرة - توجد - بالضبط - حيث -
أنت - تقف هنا!

(ينحني بسرعة، يلتقط توتة عليق متخيلة)
والسر هو: عليك أن تعرف أين تقف!
إدوارد: (يقطف واحدة)

هل أستطيع تذوق واحدة الآن؟

هـنري: (مفكرا)
حسنا.. نعم. لكن مقابل كل واحدة تأكلها،
عليك أخذ اثنتين إلى البيت.

إدوارد: (متذوقاً) همم... إنها لذذة! أين سلتك؟
هـنـري: أستعمل قبعتي. لأن رأسي بحجم فطيرة
توت العليق تماماً!
(يركض إدوارد في الاتجاهات كافة، يبدو
أنه يجمع توت العليق)
إدوارد: (يصرخ)
هناك بقعة كاملة منها هنا!
هـنـري: آههه، أنت موهوب دون شك.
إدوارد: (يركض من أجمة إلى أخرى)
لنتسابق ونرى من سيقطف توتاً أكثر.
(لكن هنري ليس بمتسابق. كان يتوقف
ليتذوق التوت)
هـنـري: (يبتلع توتة سعيداً)
(كان إدوارد الصغير يتوغل بين الأدغال
ويمسك قبضة من توت العليق بأسرع
ما يستطيع!)
إدوارد: انظر قطفتم أكثر منك!
هـنـري: الجميع يفعلون ذلك!
(بتراخ مدروس، يقطف هنري التوت، يقذفه
في قبعته. يبدو هدوؤه وراحته على نقیض
نشاط الغلام وسرعة حركته. ويبدو هنري
أنه يختار التوتة الدقيقة من كل أجمة -
تلك التي تعد بالنكهة الأفضل)

إدوارد: كيف حصل توت العليق أن صار توت عليق
وليس فراولة؟

هنري: حسنا، هناك العديد من الكتب حول هذا
الموضوع. لكن لقاءك بتوت العليق يجعلك أكثر
خبرة من أي عالم نباتي كتب كتابا غيبيا.
(والآن ملأ إدوارد سلته تماما وجاء راكضا
مبتهجا إلى هنري، لعرضها عليه)

إدوارد: انظر! انظر يا هنري! سلتي مملوءة تماما.
كان على أُمي أن تعطيني سلة أكبر.
(يتعثر إدوارد فجأة أثناء الركض، يسقط
وتفرغ سلة التوت الخيالية بالكامل على
الأرض. يربع إدوارد الحادث. وتتحول
النشوة في عينيه البراقتين الى دموع)
جميعها انسكبت وفسدت!

(يجثو هنري على ركبتيه، يضع ذراعه حول
كتفي الولد المكتئب. الذي يتنهد دون توقف)
ألا تعرف ماذا فعلت؟ لقد زرعت بقعا كاملة
هنري: من توت العليق، من أجل جيل من أولاد
إدوارد إمرسون!
أنا قد...؟

إدوارد: (عبر دموعه المتهامدة)
كيف؟

لأنها هذه هي حالة الأشياء؟ لقد اشترطت

هـنري: الطبيعة أن الأولاد الصغار الذين يجمعون
توت العليق يجب، بين فترة وأخرى، أن
يكسبوا ويبيعثروا حبات التوت، يا إدوارد،
فلقد كنت مفيدا مثل نحلة العسل!
(بابتهاج)

إدوارد: لنقطف ثمانية ونبعثرها!
(بشك يمسح إدوارد عينيه بكم قميصه،
منتصرا على بؤسه السابق. يُفرغ هنري
قبعته المملوءة بتوت العليق في سلة إدوارد.
ويرفع إدوارد نظره في وجه هنري)
ولكن هذه كلها لك!
(بمهابة)

هـنري: أتنازل عن ملكيتي.
ماذا تعني ملكيتي؟
إدوارد: مثل معظم شعوذات الملكية، لا تعني شيئا
هـنري: على الإطلاق.
(يمسك إدوارد بيد هنري)

هنري. أتمنى لو كنت أبي...!
إدوارد: (ينظر هنري إلى الطفل، متمنيا لو كان لكنه
لا يقولها. تبعد الإضاءة عنهما وتسقط
في الوقت نفسه على ليديان، التي تجلس
وتكتب رسالة. ترفع نظرها عند دخولها
هنري وإدوارد إلى فناء دار إمرسون.

إدوارد يؤرجح سلة توت العليق المستعار..
لكن يؤرجحها بحرص)
(راكضا إلى أمه) هل أستطيع أن آخذه
إدوارد: وأعرضه على الجميع؟
لا تقل آخذه بل آخذها، يا عزيزي. نعم كما
ليديان: تريد.
لا تنس أن تعيد السيدة إلى المنزل وترتج
هنري: الباب وراءها. إذا كنت تريد بيضا مقليا
على الفطور.
(يركض إدوارد حاملا معه الدجاجة)
ورودي تشكرك.
ليديان: آه، أهلا وسهلا بها.
هنري: تزوج يا هنري. جد لك امرأة، وعلم نفسك
ليديان: حبها.
لدي امرأة.
هنري: (ترمقه ليديان بنظراتها)
لكن أنا عازب عنيد وفض. وحماتي هي
الطبيعة.
هناك كثير جدا من الفتيات الشابات
ليديان: الجميلات.
لسوف أوصلهن سريعا إلى سن العجزة.
هنري: وأنا لست متوحشا.
أنت بحاجة إلى رأس يرتمي على الوسادة

ليديان: بجانبك . ماذا بشأن مارغريت فولار؟
(يكرر هنري الاسم، كما لو كان يشطفه في
فمه)

مارغريت - فولار -؟ آه، لا يمكنني الزواج
هنري: بها .
ولماذا؟

ليديان: أولاً أنا لست أحقق لأطلب منها ذلك. وثانياً
هنري: هي لم تكن أبدا غبية لتقبل طلبي.
(مستديراً)

هل تودين أن تكوني خطابة، يا ليديان؟
جدي لي شيئاً ما بريئاً وطبيعياً وغير
معقد . شجرة بلوط . غيمة . ورقة في
عاصفة ثلجية .

ليديان: لكن أليس ذلك وحدانية، يا هنري؟
هنري: وحدانية!

(يضحك) يا ليديان لست وحيداً أكثر من
نجمة الشمال أو الريح الجنوبية أو أول
عنكبوت في منزل جديد .
(يضيف بلطافة)

وماذا عن وحدانيتك، أنت؟ هل يكفي أن
تمضي كل ليلة إلى الفراش وليس معك
سوى رسالة من إنكلترا، لتخبرك عن هوى
زوجك الجارف تجاه كارليل؟

(تخفض ليديان نظراتها. يمد هنري يده
ويلامس كمها)

ألا يدعو «إلى الشفقة أنك آمنة» جدا معي؟
(وسط نقاش يظهر بيلى في الزنزانة)

أخاف من المحكمة. لم أجد محاميا. الطعام
بيلى: ليس سيئا جدا هنا.

(يعود هنري إلى الزنزانة وتبتعد الإضاءة
عن ليديان)

هل تصير محاميا؟
(يتوقف)

هنري: أنا لست محاميا!

ألا تصير واحدا وتدافع عني؟ تتحدث
بيلى: مثلهم. وأنت أنيق مثلهم.

يا بيلى، أعطيك معطفي أو حذائي أو آخر
هنري: حفنة فاصولياء، لسوف أقطع الخشب

لك أو أدفع عربة من أجلك لكن لا أتنازل
وأكون محاميا لأي كان! أظن أن إبليس كان

محاميا. لهذا السبب لا يزال يقدم النصح
للرؤساء.

من أين سأجلب محاميا؟

بيلى: لو كنت إلها يا بيلى لما تركتك تموت بعيدا
هنري: في الظلام.

(ينهض بيلى عن سريره مرتعبا)

قل لي ما أعمله.

بيلي: (يحك ذقنه)

هنري: حسنا، يمكن أن تحاول ولادة نفسك من

جديد في عصر أكثر عدالة وكرما. هذا

ليس اقتراحا عمليا جدا (فكرة أخرى)

أفترض أن تحاول الصلاة.

أنا لا أعرفها.

بيلي: وأنا كذلك.

هنري: لكن هل يمكنك أن تُصلي من أجلي؟

بيلي: لا.. لا أريد. وهل هذا مهم وضروري؟

هنري: الصلاة لا تؤذي أحدا.

بيلي: حسنا لنتوجه بالدعاء إلى الله.

هنري: (يشبك أصابع يديه في حالة شبه إجلال)

مباركون الشباب،

لأنهم لا يقرؤون خطابات الرئيس.

مباركون من لا يقرؤون جريدة، لأنهم سيرون

الطبيعة والله من خلالها.

ومبارك بيلي، لأنه فتى طيب ويستحق

معاملة أفضل مما تعطونه - مع أنه إنسان

متعلم.

آمين.

آمين. هل تظن أنها ستصل؟

بيلي: لا أعرف. أنا لا أصلي بالكلمات عادة.

هنري: أفضل الناي.

(بينما يغوص بيلى في سريره من جديد،
تخفض الأضواء في الزنزانة.

يتحرك هنري إلى مقدمة المسرح وسط
ضوء الشمس الكهرمائي، وتكتسي خلفية
المسرح من جديد بنسيج من أوراق غابة
والدن. يتناول هنري نايًا ويبدأ في عزف
لحن غريب ومسالمة، لحن رعوي غير
مألوف من وحي الغابة. في أثناء ذلك
يتسلل رجل غير مميز من مكان وجود
الأوركسترا في مقدمة المسرح. يدب هذا
الرجل عبر الأجمة منحنيًا من الخوف،
بحيث لا يلاحظ هنري وجوده. إن هذا
الرجل هو وليمز، رجل أسود يرتدي ثيابا
مهلهلة ووسخة.

إنه ضخمة الجثة لكنه مرتعب. هنري حتى الآن
لم يلاحظه، لكن الرجل يظن نفسه مكشوفًا
لذلك يقفز وراء أجمة خيالية أخرى.

ومع تهيدة يضع هنري نايه جانبا وينحني
ليلتقط شيئًا ما على الأرض. يظن وليمز أن
هنري يتناول بندقية ما. فيقفز في الهواء
من وراء هنري المندهش، ويضع كفه الضخم
على فم هنري).

وليمز: لن ترفع بندقية في وجهي.
 (يدور هنري بهدوء ذراع المعذقة التي
 التقطها عن الأرض. يتراخى وليمز قليلا،
 ويبعد يده عن فم هنري).
 هنري: ظننتها بندقية؟ البندقية لا تصلح لعذق
 الفاصولياء.
 (إنه لطيف)
 هل تمانع إن تابعت عملي؟
 (وليمز خائف ومتردد)
 ليس هناك سلاح ناري على بعد ثلاثة أرباع
 الميل من هنا.
 (يتحرر هنري من القبضة ويبدأ العذق.
 بينما الأسود يراقبه)
 كيف لي أن أساعدك؟
 وليمز: أنا جائع. أعطني بعض الطعام!
 هنري: حسنا، اجلس يا جار. ثلاثة أسابيع وتعطي
 هذه الفاصولياء الحب.
 وليمز: حتى وقتها سأنام مع الفاصولياء! أنا راحل
 إلى كندا.
 هنري: إلى أين؟
 وليمز: كندا، كندا! شمالا قدر ما أستطيع! يقولون
 كلما ذهب شمالا، صرت حرا أكثر!
 هنري: (بينما يتابع عذقه)

في الكوخ، هناك، ثمة ربع رغيف من الخبز.
خذه.

(يتحرك وليمز في الاتجاه الذي أشار إليه
هنري ثم يتردد ويستدير إلى الوراء).

وليمز: أنت تثق بي لتتركني أدخل مكانك؟ من دون
أن تراقبني؟

هنري: لم لا؟

(يتوقف وليمز، بعد ذلك يقوم بحركة
سريعة إلى الظل بينما يتابع هنري بهدوء
كبير عذق الفاصولياء. من ثم ينادي هنري
تجاه الكوخ البعيد عن المسرح).

إذا رغبت في البقاء حتى العشاء، سأصطاد
سمكة، ما اسمك؟

(في الحال يظهر وليمز ثانية ممسكا بقطعة
خبز يلوکها بنهم)

وليمز: (وفمه مملوء)

وليمز.

هنري: أنا هنري ثورو.

(يمد يده. يندهش وليمز، ثم يمد
يده بتردد لمصافحة هنري، لكن في
البداية يمسح كفه على ساق بنطالة).

وليمز اسمك الأول أم الثاني؟

إنه كل اسمي.

وليمز: (فجأة)

لكن أنا لست عبدا، أنا لن أعود لأكون عبدا. لن يأخذني أحد ثانية.

(ويتابع بحماس)

لقد ولدت منذ أسبوعين.

حسنا فعلت يا سيد وليمز.

هنري: كنت أنتمي إلى السيد وليمز. كنت وليمز

وليمز: السيد وليمز لا أكثر.

(يتفحصه هنري بنظراته. وليمز قلق).

هل ستعيدني؟

ليس لدي رغبة وأكره العبودية مثلك، هنا

هنري: أنت حر مثلي.

(يبدأ وليمز بالتنفس بارتياح أكبر. يتلفت

حواله).

كيف ذلك، إنك تعيش مثل رجل أسود؟ في

وليمز: كوخ عبد؟

(يضحك)

هنري: ربما للبرهان أن الأقل هو الأكثر. كما ترى

أنا غني جدا، لكن لا أمتلك أي نقود فقط،

وهذا كل شيء.

(لا يزال مشككا)

وليمز: أين زوجتك، والأولاد؟

حسنا، عروستي هي بقعة الفاصولياء هذه

هـنـري: يا سيد وليمز. ولقد تبنيـت عدة مراميط،

وبضعة سناجب عاقين إلى حد ما .

لا أحد حتى الآن ناداني بسيد .

وليمـز: من الأفضل أن تعتاد على ذلك. إذا كنت

هـنـري: تريد أن تكون إنسانا حرا . ويجب أن يكون

لك اسم أول، أيضا، آه، ليس من الضروري .

لكن ذلك عملي أكثر .

(مترددا)

وليمـز: هنري، ربما .. هل أستطيع تسمية نفسي

«وليمز السيد هنري» ..؟

لا!

هـنـري: (مرتعبا) لماذا تصرخ علي؟

وليمـز: أنت لست ملكا لأحد، يا سيد . سوى نفسك،

هـنـري: وأقل من الجميع أن تكون ملكي . انتبه وإلا

سوف تقع في الحال، في ما تهرب منه .

(مجربا)

وليمـز: هنري... وليمز...

إذا لم يعجبك تناسبه، هناك اسم «دافيد»

هـنـري: وهو في اسمي أيضا، يمكنك أن تأخذه،

فأنا قلما أستخدمه .

أحببت هنري وليمز! يبدو جيدا أنه اسم

وليمـز: لإنسان حرا!

(يفتح يديه على شكل كوب ويصرخ)

هنري وليمز!

لكن في الشمال عبودية أيضا فكل إنسان
هنري: مصفود إلى عشر ساعات من العمل اليومي
هو عبد للعمل. وكل إنسان قلق حول أجرة
الشهر القادم هو عبد للنقود. لا تدع ذلك
يحصل لك يا سيد وليمز.

حافظ على حريتك!

هنا أشعر بأنني حر الآن! معك. من قبل
وليمز: أبدا. أنا لست خائفا الآن.
ولماذا عليك أن تخاف؟

هنري: (بحدة)

وليمز: دعني أعش هنا؟ لسوف أجرب حظوظي
مع القانون.

أنا لا أتقن الاختباء! ولا أحد يعلم أنني هنا!
أرحب بك. لكن... يجب أن تجد والدين
خاصة بك، يا هنري وليمز! حيث ليس
هنري: عندهم قوانين مريضة تبقي الناس السود
في اضطهاد. هنا في ماساشوتس، لون
وجهك علم. لا تستطيع إخفاء السود في
العماء. وإذا رغبت بشيء من النور في
حياتك، يجب أن تبحث عن مكان للعيش
حيث يفكر البشر بأنفسهم كبشر، وليس
كبيض.

(ويضع يده على كتف وليمز).

ارحل إلى كانيادا(*)).

(تبتعد الإضاءة عن الرجل الأسود والأبيض في مقدمة المسرح. لكن في منزل إمرسون يسלט الضوء على والدو في خضم نقاش حام. وقفته ملتوية كما لو يحاول الجميع بين جانبيين متعارضين في قضية ما في وقت واحد). اقترعت بصوتي! فعلت ذلك. وضعته في صندوق الاقتراع.

والدو: وماذا تتوقع أن أعمل أكثر من ذلك؟

(يتحرك هنري داخل المشهد)

(ملتها بامتعاض)

اقترعت بصوتك الكامل! ليس مجرد

هنري: قصاصة ورق! بنفوذك الكامل!

(مستديرا)

يجب أن نتقدم مع الأغلبية!

والدو: (بسخط)

نتقدم!

هنري: (بتعقل): يا هنري على المرء التفكير في

العواقب الاقتصادية والاجتماعية. وعندما

والدو: يحاول البيض والسود العيش معا، فإن

عواقب هذه المحاولة غير محدودة.

(*) يلفظها هنري كما لفظ وليمز اسم كندا.

(يضرب قبضته في راحة يده)

عندها وضع! وضع الأمر!

هـنري: (محركا رأسه)

وتعقد الأشياء أكثر باستعجالها. أنت عالم
والدو: طبيعة يا هنري. أنت تفهم تطور الفصول
البطيء. والأمر نفسه في العلاقات
الإنسانية. فأنت لا تستطيع تسريع شروق
الشمس.

(بغضب مقيد)

عندما يقفز إنسان من قطار شحن يتحرك،
هـنري: ويحاول الزحف عبر الغابات ليقطع الحدود
إلى كندا.

إلى أين؟

(بنفاد صبر)

والدو: إلى كندا! بلاد أكثر حرية على الرغم
هـنري: من أنها لاتزال ملكية. لكن ليس عندهم
«قانون العبد الهارب»، عندنا إنسان، عند
حدود الحرية، توقفه بندقية رجل بوليس
من بوسطن لكن يكون لديه الوقت لسماع
موعظة الدكتور إمرسون المتروية حول
«تطور الفصول البطيء».

يا هنري، أنا مصدوم بموت هذا الإنسان
مثلك تماما. ما اسمه؟

والـدو: (بهدوء)

هنري وليمز. رجل جديد. باسم جديد. لم

هـنـري: يكـد يـستـخدمه!

أنا قلق جدا...

أنت؟ بالنسبة إليك، هنري وليمز، لا يعدو

والـدو: كونه فكرة مجردة. يمكنك استخدامها

هـنـري: من وقت إلى آخر كاستطراد في قاعات

المحاضرات.

كيف لك أن تكون كريها إلى هذا الحد معي

بينما أحاول أن أتفق معك؟

والـدو: (تتصاعد الحرارة بين الرجلين)

كنت أتوقع منك أكثر مما أتوقع من أي

شخص آخر، لذلك أشعر بأنني مخيب

هـنـري: فيك.

حسنا ماذا تتوقع مني؟

كلاما صريحا واضحا!

والـدو: إنني أتكلم.

هـنـري: ليس بكافٍ. اصرخ!

والـدو: أنا لست صارخا.

هـنـري: ليس عبر «وعاء صوتك»! بل بدماعك!

والـدو: يا والدو أنا لا أستطيع لفت انتباه الناس.

هـنـري: لا أستطيع الوصول إلى أي كان. لا أحد

يعيرني انتباهها.

(بانفعال)

لكن يا إلهي، أنت إمرسون!
(أوشكت عينا هنري أن تدمعا حيث كان
يتصارع فيه مزيج من الإعجاب بوثنه
واحتقار له).

معبود قاعات المحاضرات، لورد دائرة
المحاضرات ! كل كلمة تقولها من على
المنصة تعد كنزا، مثل المتاع. قف، يا والدو،
وقل ما تؤمن به!

(بتشامخ)

أحيانا أعتقد أنني اخترعتك يا هنري. أو
والدو: على الأقل ألهمتك. لأنك تعيش ما أحدث
عنه. أنا لا أستطيع الوجود بطريقتك
يا هنري، أنا أحب إحضار الخبز المحمص
الساخن والشاي والبيضة نصف المسلوقة
على صينية إلى فراشي كل صباح. وعندما
أفكر فقط بـ «والدون»، أحس بالبرودة.
لكنني معجب بك، يا هنري، فعلا. أنت
أخلاقي المتحركة!

(يحدق هنري في والدو، مستغربا كيف
يستطيع المداورة والابتعاد عن النقطة).

هذه العبارة بحرفيتها هي التي استخدمتها
في وصفك لكارليل. هل تعلم أنني أخبرت

كارليل عنك؟

(محبطا، يستدير مبتعدا)

لا يهمني ما قلت لكارليل.

هنري: قلت لكارليل «من بين جميع الرجال في

كونكورد، هنري ثورو هو الأفضل من

والدو: الجميع!».

هذا ما أخبرته به.

(مبتهجا باقتباس نفسه)

«شاعر مملوء ببراعم الوعد ملء شجرة

تفاح فتية، هذا ما قلته».

يا والدو لا تتكلم عني، تكلم معي. أصغ إليّ.

(لا تزال أفكاره في إنجلترا)

هنري: أو هو؟ كيف كان ذلك؟

(بهدوء)

والدو: كيف تستطيع الرقاد في سريرك كل صباح؟

كيف يجلب الفطور إليك (بيضتك نصف

هنري: المسلوقة، خبزك المحمص وشايك)؟ كيف

تستطيع رفع يدك اليمنى إلى فمك بينما

يدك اليسرى التي هي أنت أيضا - حكومتك

- تقتل الناس في المكسيك؟ كيف تستطيع

البلع يا والدو؟ كيف تتذوق طعامك؟ كيف

تستطيع أن تتنفس؟ لقد اقترعت بيدك

اليمنى، لكن يدك اليسرى قتلت هنري

وليمز. الراكض ليكون حرا!
هل تظنني غير مهان، فقط لأنني لم أصرخ
مثل آرميا؟ أنا أفعل ما يمكن فعله!
هذا ليس كافيا. افعل المستحيل. هذا
والـــــــدو: ما تطلبه من الناس في محاضراتك. لكنك،
أنت، لا تؤمن فعليا بأي كلمة تقولها، أليس
هــــنــــري: كذلك؟

أنت تعبر نيوإنجلند من أقصاها إلى
أقصاها، تمشي إلى المقرأ بتلك الابتسامة
الرضية، تقبل مصافحة رؤساء البلديات
والتصفيق المذهب للسيدات العجائز وتتابع
إنشاد مواعظك الباهتة.
ما أقوله ليس باهتا!
(تدخل ليديان، جذبتها أصواتهم المرتفعة
النبرة)

والـــــــدو: حسنا، تطلق أحيانا كثيرة صرخة كأنها
صرخة معركة. لكنك أنت - أنت نفسك -
ترفض سماعها.
هــــنــــري: (بضيق شديد)

أنت رجل صعب جدا!
حسنا. إن العالم مملوء جدا بالرجال
والـــــــدو: السهلين.

هل تريد مني أن أخرج مدافعا عن العنف

هـنري: والتمرد؟

أطلب منك إيقاف العنف. أما بالنسبة إلى والدو: التمرد. وهل تظن أن هذه البلاد قد فقسست من بيضة نصف مسلوقة؟

هـنري: (يومئ)

انظر حولك في كونكورد، ماذا ترى؟ لقد صرنا كل ما تمردنا سابقا ضده! وماذا تقدم أنت أيها الشاب؟ تسحب الغاية فوق رأسك.

تقدم استقالتك من العرق البشري. وهل والدو: استطاعت جميع مراميطك، بكل حكمتها، إنقاذ حياة هنري وليمز؟ هل ستشقى سمكاتك الطرقات، تبني المدارس وتطفئ الحرائق؟ (توقف هنري للحظة من دون جواب جاهز) آه، بسيط جدا لناسك أن يبقى بعيدا، منعزلا، ويعلن ما ينبغي أن تكون عليه الأمور بدقة. ولكن ماذا لو فعل الجميع ذلك؟

أين ستكون وقتها؟

وأين نحن يا والدو؟

نحن في الحرب، أنا مدرك لهذه الحالة. وهل تدرك الأسباب، مالكو العبيد يطمعون في مزيد من أراضى العبيد؟ في مزيد من هـنري: العبودية، وقليل من الحرية، وهل هذا

والـدو: ما تريد؟

هـنـري: يا هنري. يجب أن نعمل ضمن أطر القوانين.
نهاية الحرب - ظروف السود - هذا هو
عمل الرئيس والكونغرس.

وهل تصدق ذلك فعليا؟ عندما أكون على
والـدو: خطأ. كنت أعتقد أن لديك القرف نفسه
الذي عندي مما يقوم به العسكر. لكن إذا
كان كل ذلك لا يزعجك، فأنا عندها لأبد
هـنـري: أنتي ارتكبت خطأ.

(وبتهكم مرير)

لديك كل الحق في البقاء هادئا. سوف
أعود إلى الغابة وأدعك بسلام مع حربي.
(في تألم حقيقي. ينظر إلى زوجته)
حسنا يا ضميري الشاب. ماذا علي أن
أفعل؟

أعلن موقفك بصراحة!

والـدو: (توقف آخر)

سوف أفعل ذلك حتما. في المرة القادمة
عند حصول فرصة.

هـنـري: (بعنف)

الآن! منذ عام مضى كان متأخرا جدا!
والـدو: سوف أجمع لك مستمعين. بعد ظهر هذا
اليوم. في ساحة كونكورد!

هـنري: (يخرج هنري بخطى واسعة من الضوء، ينظر والدو باضطراب إلى ليديان. تبتعد الإضاءة عن إمرسون. يسقط حبل الجرس من النوسان مع توجيه الإضاءة إلى البروز. يقفز هنري إلى الأعلى، يمسك الحبل، ويهز ويجلجل الجرس من فوق مرددا الأمر وأخذ الناس في التجمع، متسائلين بفضول وإثارة) (راكضا)

هل هناك حريق في مكان ما؟

ما الأخبار؟ هل انتهت الحرب؟

ماذا تفعل هنا يا هنري؟ ماذا يجري؟

(تتزايد الأصوات اختلاطا وقوة مع تزايد

مزارع: عدد المحتشدين. يفلت هنري الحبل بينما يتخامد الجرس الهزاز).

امرأة: الدكتور إمرسون قادم ليتكلم. لقد وعد

سام: بإعطاء تصريح!

الآن، هنا في هذا المكان. فهو لا يستطيع الانتظار!

(باندفاع)

هـنري: آه، دافيد هنري! هل جئت لتغضب الناس من جديد؟

إمرسون سوف يغضب البلاد بأكملها، وأنتم

سوف تكونون أول من يسمع ذلك!

الأم: هل هو قادم ليقول شيئاً ما أم ليعطي موعظة؟

(يضحك هنري بمرح)

هنري: كلا الأمرين! بإذن الله!
(ويتجمع الآخرون)

مزارع: الدكتور إمرسون سوف يتحدث الآن؟
تركته للتو، هو في طريقه إلى هنا.

(هناك ثرثرة حافلة بالتوقعات. ورجل

هنري: واحد، ربما كان الصحافي في المنطقة
يسحب إضمامة أوراق، ويتجهز الكتابة)

سام: من دون أن ندفع تكاليف المحاضرة، أيضاً؟
هنري: (بعد توقف قصير منتظرين، يشعر الحشد
بالملل)

حسنًا، أين هو؟

(بدأ عدد من المحتشدين في المغادرة. وخبأ

صوت: المراسل إضمامة الأوراق)
(بثقة)

لا تقلقوا! هو قادم، سيكون هنا!

امراة: (تدخل ليديان ببطء، رأسها إلى الأسفل.
يتراجع الجميع لإفساح الطريق لها. تقترب

من هنري وبصمت تنظر في وجهه. وتسعل)

هنري: طلب الدكتور إمرسون أن أخبرك...
(بشحوب)

نعم؟

يقول إنه يلزمه وقت أطول للتفكير في هذه القضايا (هنري لا يتحرك، يحدق ليديان: في وجهها فقط) ليتمكن من كتابة مقالة هنري: يضمنها موقفه بدقة.

وكلف زوجته بالعمل السعيد والقدوم إلى هنا لإخبارنا؟ يا له من عذر مثل عذر عاجل يصل مدير المدرسة «آسف جدا، جوني لا يستطيع المجيء إلى المدرسة اليوم لأنه مصاب بالخناق».

هنري: (تشارك ليديان هنري مشاعره لكن ولاءها لزوجها لا يهتز). والدو يريد تجميع أفكاره (بغضب)

ما هذا، شتاء قناعاتنا؟ إلى أن ينهي «تجميع ليديان: أفكاره» سوف تموت جميعها تحت الثلج مثل الهندباء البرية (بيدي الحشد التململ ويبدأ في التفرق)

هنري: جيد، جئنا راكضين إلى الحريق، لكن لم يضره أحد. فعلها هنري.

(بينما يبتعد الحشد، يحدق هنري في ليديان. ويستدير ببطء عنها ويأخذ في الابتعاد)

مـــــــــــــــــزارع: (توقفه)

يا هنري زوجي يحبك، كما يمكن أن يحب
أي رجل رجلا آخر..
(يتوقف هنري، لكن ظهره إلى ليديان)
(محركا رأسه)

ليديان: يا إلهي!

لماذا تستمتع بإيذائه؟

(يستدير نحوها)

إنه يؤذيني!

هــــــــــــــــنري: (كلاهما يتكلم في الوقت نفسه، ويتداخل
كلامهما)

ليديان: إنه يهتم بما تفكر به، لذلك يزداد حساسية
هــــــــــــــــنري: ويبالغ في تحميل نفسه.

يتعامل بتنازل. وأنا لن أجلس عند قدم منبر
وعظة!

عندما يتحدث إليك.

ليديان: هو لم يتحدث إلي أبدا! وهل كان يتحدث
إليّ لتوه الآن؟

هــــــــــــــــنري: (بمرارة)

لقد كان في إنجلترا، يتحدث مثل الأساقفة

ليديان: مع كارليل!

هــــــــــــــــنري: أنت توسع المسافة.

الحديث مع زوجك عديم الجدوى. محاولة

الحصول على محادثة عاقلة معه، أضيع

وقتي، هويتي تقريبا.

أصغي إلى كليكما. أنت تشاحن وتخاصم

ليديان: مثل أطفال في مباراة الكريكت يتضاربون

هنري: ويتدافعون ويترافسون، ليس من أجل

الفكر، يلعبون ليربحوا فقط!

(بيروود)

ليديان: زوجك يا سيدة إمرسون، جنتلمان لسوء

حظه، مشهور، غارق في نجاحه الخاص.

أقرب صديق إلى زوجي لا يعرف حتى

من يكون زوجي! لقد رسمت فكرة

هنري: محددة في ذهنك، رسمت والدو متخيل

- بالطريقة التي تريده أن يكون وليس

كما هو. أرجوك يا هنري، أعطه الحرية

ليديان: نفسها التي يعطيك هو إياها، لتكون ما

أنت.

(يخفض هنري نظره. ذهب الجميع الآن.)

كانت ليديان تود أن تقول له:

آسفة، يا هنري، بودي لو أستطيع

مساعدتك. لكنها لم تقل).

(ابتعدت ليديان بسرعة، نظر هنري حوله

في الساحة الفارغة التي كانت قبل قليل

تضج بالناس).

(يصرخ)

يا مواطني كونكورد!

(لكنه يكلم الريح. محبط، يبحث عن سبيل

للموصول إلى آذان جمهور آخرس.

يرى حبل الجرس المدلى، يقفز ليقرعه،

هـنري: وعلى الرغم من أنه كان يهزه بكامل وزن

جسمه، فإنه لم يصدر أي صوت كان!

الجرس لا يقرع! وبدهشة يسحب الحبل

باهتياج أشد. لا شيء)

كيف نخلق صوتاً؟ كيف نكسر هذا الصمت

اللعين؟

(تبتعد الأضواء عن هنري المحبط والمغموم.

ويتلاشى حبل الجرس إلى ذبذبات. يلقي

بنفسه على سريريه في الزنزانة. تصير

السماء حمراء. وتظهر السماء كأنها تتمزق

إلى أجزاء عبر التردذ المخدر لشظايا قذائف

منفجرة. يزمجر طبل مطوق بإيقاع عسكري.

عازف الطبل يتابع السير، يستدير بجبهته

الأنيفة. الوجه هو وجه إدوارد إمرسون. يأتي

رقيب، في بزة عسكرية فيدرالية لسنوات

الأربعينيات من القرن الماضي. إنه سام

ستابلز)

(كما لو أنه يدرب القوات)

أمام إلى المكسيك... سر!

ابغض - اثنين - ثلاث - أربع!

ابغض - اثنين - ثلاثة - أربع!

ابغض - اثنين - ثلاث - أربع! —————ام:

(ينخس الرقيب ببلي بقفا بندقية ويوقظه.

ببلي باستعداد. يضع الرقيب قبعة عسكرية

على رأس ببلي ويضع بندقية بين يديه. يسير

ببلي حول البروز بخطوات غير مضبوطة على

وقع الضربات المعاندة للطبل. والفلاح، مرتديا

البزة العسكرية، يصبح جزءا من هذه الحملة

الزاحفة. يظهر بول. على كتفيه كتافات جنرال

وشريط ذهبي. يصعد على الصندوق. كما لو

كان منصة وسط استعراض عسكري)

(تحت إيقاع الطبل المطوق)

تعلم القتل!

تعلم القتل!

تعلم القتل!

ب—————ول: عندها لم تقتل!

(هذا التتابع بأكمله كان أشبه بكابوس

متداخل ضبابي شبيه بكوابيس غويا Goya

إنه walpurgisnacht رحلة سيئة حافلة

باختلاط سريالي للهلوسات. الزمان والمكان

والأصوات جميعها مشوهة وموروبة).

(خارج الإيقاع)

أنا لا أريد إطلاق النار عليهم، لم يسيئوا
إلي!

(يستدير الجميع نحو بيلى)

بيلى: جبان! متهرب! خائن! فار!

همجي!

متشرد!

(يدوي انفجار عظيم لقذيفة مدفع، ينبطح

أصوات مختلفة: الجميع على بطونهم. صرخات وفوضى).

بول: (مشيرا إلى هنري في سريه)

سام: لماذا لا يحمل ذلك الرجل بندقية؟

(يمسك كتف هنري ويهزه)

استيقظ يا هنري. لدي شيء هنا من أجلك.

بول: استيقظ!

لا أريده!

سام: (لكن الرقيب يدس بين يديه بندقية. ينهض

هنري على قدميه مذهولا كما لو أنه يسير

تحت المخدر. يمسك البندقية على بعد

هنري: ذراعه بقرف)

هدف هذا العمل هو إيقاف العدو عن

حماية نفسه من العدو.

(بتحد يائس)

لن أذهب!

بــــــــــــــــول: هاكم فتى جيد، دافيد هنري. يعمل الشيء الصحيح دوما حتى لو كان على خطأ.

هــــــــــــــــنري: (يستمر قرع الطبل ويزداد غضاب. لكن هنري يتحرك بشكل غير إيقاعي ويسير الأمام: بخطوات لا تتزامن مع خطوات البقية).

(بصوت أقرب إلى الفحيح)

اكره - اثنين - ثلاثة - أربعة!

اكره - اثنين - ثلاثة - أربعة!

(يظهر الرئيس في معطفه الصباحي)

الرفيق والعساكر: والبنطال المقلّم. إنه والدو)

سيدي الرئيس، ينصح العسكر بأن نحمل الأرض، بأكملها.

ندمر كل شيء ونساويه بوجه الأرض! هل أنتم جاهزون للسير؟

بــــــــــــــــول: (بنوع من الطرب الشيطاني)

تقدم!

تقدم!

تقدم!

جميع الأصوات: تقدم!

(يندفع هنري إلى الرئيس. يحاول الكلام،

يكون هائجا وملحاحا، لكنه لا يخرج من فمه

أي صوت على الرغم من أن فمه يتحرك)

(يكلمك الجنرال بغطرسة)

هل يقول هذا الرجل أي شيء؟ لا أستطيع سماعه.

(يحاول هنري إيقاف سير الآخرين، واحداً
والـدو: تلو الآخر، لكن لا يعيره أحد أي انتباه).
ما تعليماتك، سيدي الرئيس؟
يلزمنا وقت أطول لاستجماع أفكارنا.
لذلك سوف أعين لجنة لتعين لجنة لتعين
لجنة.

بـول: (هتافات وتهليل)
والـدو: حتى نصل إلى القاع، بحيث تعرف القمة
ما العمل!
(يتقدم جندي مكسيكي داكن البشرة
[وليمز] يحمل علماً مكسيكياً)
ها هو يا فتيان، إنه العدو!
(تتوجه جميع البنادق صوب المكسيكي، وهو
أشبه بحيوان وقع في فخ)
(يصرخ)

الرقيب ستابلز: اركض، يا هنري وليمز! انج بنفسك!
(يقفز الجندي المكسيكي وليمز وسط
القوات الفيدرالية، يندفع بطريق متعرج
هنري: وسطهم، رافعا رايته. تطلق البنادق عليه،
وتخرج الطلقات بوحشية، ويستمر الدخان
بالتصاعد. بينما يقفز وليمز عبر البروز

ويختفي).

الزنجي القذر! لقد هرب!

(بابتهاج)

نفد!

(تستدير جميع القوات الفيدرالية تجاه

صوت: هنري بشكل اتهامي. وفي الوقت نفسه

هنري: تتبّه إلا أن قرع الطبل قد توقف. والطبال

الصغير [إدوارد] سقط جريحا على طبله.

(يركض هنري إلى الولد الجريح، يرفعه

مثل المنتحية. من ثم ينظر إلى الرئيس شبه

التمثال «الدو»)

سيدي الرئيس! لم يكن يرغب سوى قطاف

توت العليق!

(لا يزال الرئيس راضيا لا تؤثر فيه الفوضى

والدخان)

هنري: اقترحت كتابة مقال حصيف، أوضح فيه

موقفي.

(يستمر هدير المدافع وفرقة البنادق.

يرمي هنري بندقيته بعيدا عنه. يبحث

والدو: في الاتجاهات كافة، ينادي الهواء بيدين

فارغتين).

أرجوكم! ليقُل أحد ما شيئا ما ! ليصرخ

أحد ما!

السيد سبيكر. السادة أعضاء الكونغرس!
(يتجمد كل شيء في مكانه على المنصة،
هنري: مهما كانت الوقفة الملتوية التي يقفها، كما
لو كانت لقطة مجمدة. ويصغي هنري
صوت غير مرئي: بتركيز حيواني)

بدأ الرئيس هذه الحرب غير الضرورية
بطريقة غير دستورية، وهو وحده يمكن أن
يخبرنا الحقيقة، لكنه لا يقول الحقيقة
كاملة. لقد دفع الحرب أكثر فأكثر، إلى
حمامات من دم. إن عقله المرهق فوق طاقة
تحمله، يجوس راكضا مثل حيوان معذب على
سطح حارق!

(وبرجاء)

أوقف هذه الحرب، يا سيدي الرئيس! حبا
بالله، أوقف هذه الحرب!
(يبدأ شخوص ساحة المعركة بالحركة من
جديد، حركة بطيئة متنافرة وغريبة، كما لو
كانت حركة غوص يائس في رمال متحركة.
وترتسم على وجه هنري نظرة خلاص
كبيرة: أخيرا تكلم أحد ما!)

أنا لا أعرفك، يا سيد عضو الكونغرس. لكن
أشك في أن يعاود سكان إيلينولز انتخابك،
لأنك رفضت الـ «تقدم» لكن أنا سوف

هنري: أذكرك دوما يا عضو الكونغرس لينكولن.
(تصل نيران المدفعية المصمتة ذروتها
حجما. وثمة ومضات عظيمة، وتقوس
لقذائف مدافع الهاون، ورششات متقطعة
للرصاص. وتشكل القوات الفيدرالية خط
هجوم متلهل من رجال المشاة. يوجهون
بنادقهم إلى الأمام ويتحركون إلى الأمام
ببطء، يتقدمون من النظارة كما لو كان
الجمهور من الأعداء. يطوف هنري مرتعبا
من المجزرة الوشيكة.

وتتفيذا لأمر عال وعميق من الرقيب سام
ستابلز تأخذ جميع القوات وضعية الرامي
جاثيا، وتتمك ببنادقها على أهبة الإطلاق.
نشاهد من ثم وللمرة الأولى وجهها مألوفا في
الصف الثاني من القوات المهاجمة، إنه وجه
جون أخو هنري، يرتدي الزي الفيدرالي
الموحد والكامل. عندما يرى هنري أخاه
يشق طريقه بين القوات راكضا نحوه)
جون! جون!

(ما يكاد يصل إلى جانب جون حتى تنطلق
رشة من الرصاص. يصاب جون بإحدى
هنري: الرصاصات، يطوح ذراعيه في السماء
بألم، ويسقط. تتفرق القوات في جميع

الاتجاهات.

المنطقة خالية من الجميع عدا هنري وجون
الذي يحتضر في ساحة المعركة يلفهما
دخان أسود راكد. يهدد هنري المحطم
تماما، رأس جون بين ذراعيه)

لا تمت! يا الله لا تتركه يموت مرة أخرى!
(تتوارى المنصة بالكامل تحت الظلام)
(يقرع جرس البرج ست قرعات. والفجر
يرسم عبر السماء خطا باهتا كثيبا. يبلي
على سرير، هنري يرقد ملتويا، ينام بشكل
غير مريح وقتها يدخل سام ستابلز - ليس
كرقيب - مع إبريق وصحون قصديرية
يضعهم فوق الصندوق. من الآن وصاعدا،
الجميع في الثياب المعتادة. يهز كتف هنري)
استيقظ يا هنري. لدي شيء ما لك،
استيقظ.

(يتقلب هنري في فراشه، فهو لا يزال
نصف نائم)

سام: لا أريده.

حسنا، والعصيدة أليست شيئا ممتازا.
والكوكا الساخنة.
(يستيقظ متألما)

هنري: آه، صباح الخير يا سام. صار الصباح؟

سام: نعم. وهالك طبق من الشوكولا. هل سمعت الأخبار؟

هنري: أي أخبار؟
انتهى الأمر.

سام: الحرب؟

السلك الذي مدوه مباشرة إلى تكساس. الآن

هنري: صار يعمل. من نيويورك يمكن لأي شخص

سام: إرسال كلماته بالكهرباء - وبالسرعة التي

هنري: يتحدث بها.

سام: (بينما يرتشف شوكولاته بتفكير)

لكن يا سام، ماذا سيحدث إذا لم نجد أحدا

في نيويورك لديه أي شيء ليقوله إلى أي

كان في تكساس.

هنري: فكرت يمكن أن تكون سعيدا بسماع هذا

الخبر، وحسب. شيء آخر - أوه -

(يسعل)

- أوه - يمكنك أن تغادر يا هنري. في أي

سام: وقت تشاء.

أغادر؟

خلال الليل سددت الضريبة المستحقة

عليك.

ومن فعل ذلك؟

هنري: لا يسمح لي البوح باسمه.

سام: والدو! هل الدكتور إمرسون دفعها؟
لا يا سيدي.
هنري: أمي؟
سام: لا.
هنري: أنت إذن؟
سام: أنا قد عرضت، يا هنري. وأنت رفضت
هنري: بوضوح.
سام: السيدة إمرسون. هل جاءت ودفعتها؟
هنري: والآن كف عن التحذير لإجباري على
سام: إخبارك. لقد وعدت خالتك لويزا بأني لن
أفتح...
هنري: (باشمئزاز)
سام: خالتي لويزا!
(يبدأ يبلي بالتحرك)
هنري: أنا ملعون بإحسان خالتي!
(مناديا بعيدا عن المسرح لها)
يا خالتي لويزا، لماذا لا تبعدين أنفك
وأسنانك الكاذبة عن حياتي!
وأنا بمقتضى ذلك أحرمك من درب اللبانة!
(سام يفتح بوابة السجن، يتناول هنري
ورقة).
ظريف أنك كنت معنا، يا هنري. ها هو
الإيصال.

(يتجاهل هنري الورقة)

لا أريدها. لا يمكنك اتهامي بأنني سددت

سام: ضربيتي!

لقد سددت.

ليس من قبلي. لا أزال مذنباً.

هنري: (يجلس هنري على سرير، بعناد)

يا هنري، لا يملك أي إنسان الحق في البقاء

سام: في السجن إذا لم تكن هناك تهمة ضده.

هنري: حتى أنني لا أستطيع أن أجلب الغذاء لك.

(بشيء من الحزن)

سام: أنت خارج الآن؟

نعم خارج!

لا!

بيلي: القانون وضعك هنا. والقانون هو من يقول

متى تكون في الخارج.

سام: سيخيم هدوء عظيم هنا...

هنري: (يحدق هنري على بيلي بتركيز)

سام: ما الخطأ؟

(برقة)

بيلي: كل شيء على خطأ، عندما يفكر المرء

بنفسه فقط.

(بحدة مع سام)

هنري: يا سام، أنت تعرف ما تعنيه quiproquo^(*)؟

(بتألم)

هذه عبارة من عبارات هارفورد؟

هذه العبارة تعني أنه إن حاولت أن يقدم بيلى

إلى المحكمة الآن، وليس بعد ثلاثة أشهر أو

ســـام: ثلاثة أسابيع أخرى - إنما الآن حالا - عندها

سوف أُنح قانونك الشرف بالخروج إلى

هــنـري: رصيف المشاة. ولا تحاول قبل ذلك.

ليس ضمن صلاحياتي. أنا لا أصدر

قرارات مثل هذه.

(يعود هنري إلى سريرہ، يسحب البطانية

(فوقه)

ســـــــــــــــام: تصبح على خير يا سام.

(بتألم وحيرة)

صار الصباح يا هنري.

إنما ليس بالنسبة إليّ. إلى أن تفرجوا عن

هـنري: بيلي.

سأعمل كل ما أستطيع. لسوف أكلّم

القاضي والمدير.

هــنـري: قل لهم ما لم يقدم السيد بيلى إلى المحكمة

الآن، سيكون لديهم ضعف أكول، وغير دفيع

ســـــــــــــــام: آخر في السجن، وبشكل دائم!

(يخرج سام، متمنيا على الأرجح لو كان

(*) quiproquo : الشيء بالشيء .

هنري: جنديا في المكسيك. يتحرك ببلي. لا أحد في حياته وقف إلى جانبه مثل هذا الرجل، (هنري).

شكرا. لن أنسى ما حييت هذه الليلة عندما أخرج، سأذهب لزيارتك إذا كنت لا تمنع، إلى بركتك.

(يعود صوت الناي، لكن ليس هناك إسقاط **بيلي:** للأوراق، فقط توهج متصاعد للفجر. توقف، يتخذ هنري قراراً صعباً. يحدق في البعيد تجاه والدين)

على الأرجح لن أعود إلى «بركتي» يا ببلي. يبدو لي أن لدي حيوات أخرى يجب أن أحيها. ولا أعرف إذا كنت أستطيع إخبار أي وقت من أجل الحياة تلك.

هنري: يبدو لي أنها كانت حياة مثالية تماما. هذه هي المشكلة. إذا حدث وعشت هناك فترة أخرى، يمكن أن أبقى هناك دوماً. فعليك أن تفكر مرتين قبل أن تقبل الفردوس **بيلي:** مقابل شروط مشابهة.

هنري: (وبشكل مفاجئ) هل حصل لك وقمت برحلة على قارب ، يا ببلي؟ على قارب نهري فقط.

عندما تشتري بطاقة لكابينة حجرة خصوصية في رحلة بحرية عبر المحيط، يمنحونك الحرية الكاملة على المركب. **بيلي:** وهذه ميزة يجب استغلالها. فالإنسان **هنري:** يجب ألا يبقى طوال فترة الرحلة رهين مكان واحد على ظهر المركب، مهما كان هذا المكان جافا ومريحا. ودافئا.

(ببساطة)

أعتقد أن عليّ أن أطوف المركب بالكامل. اذهب أمام الدقل! قف في العراء على مقدم المركب!

(تلاشت معزوفة الناي)

يا بيلي حاولت الهرب. لكن الهرب مثل النوم، عندما يكون النوم دائما هو الموت. (توقف. يتحرك هنري يتقدم إلى النافذة المتخيلة في مقدم المسرح، بحيث تضيء أشعة شمس الصباح وجهه)

يجب أن أغادر والدين.

(الكلمات مؤلمة بالنسبة إليه. يسير بيلي تجاه هنري كما لو أنه يريد مواساته رافعا يدا تجاه كتفه، بيلي عاجز)

ليس من الضروري أن تكون هناك لتكون هناك.

(يتحرك ببلي إلى النافذة، يجذبه الضوء المتزايد إشعاعاً على وجه هنري. ينظر إلى الخارج بخشوع).
صباح ساطع. سيكون نهاراً تموزياً رائعاً في الخارج.

يصير الضوء أحياناً ساطعاً جداً بحيث يطفئ أعيننا. وعندها يخيم الظلام التام من جديد.

بيلي: إذا بقينا مستيقظين، سيطلع الصباح. أن تكون حياً يعني أن تكون متيقظاً.

هنري: (يرفع نظره. السماء فعلياً مشرقة بضوء الشمس الساطعة الآن)
لا يزال هناك يوم آخر للفجر. الشمس نجمة الصباح لا غير.

(يصافح ببلي، يهم بالخروج، يتذكر شيئاً ما، حذاءه. يأخذه ويلوح به لبيلي مودعاً.
وعلى البوابة، يتوقف هنري، يحدق النظر بحدة.

ومن البعيد، يسمع قرع طبال غير عسكري ومختلف الإيقاع.

يتحرك إلى ساحة الكونكوردي المتوهجة بأشعة ضوء الصباح. فجأة قرعات الطبل تأتي من اتجاه مختلف، تزداد قوة. تشبه

هزيم رعد قادم من جميع الجوانب.
تتابع عيناه قوس السماء. يبدو أن قامته
تكبر وترتفع وتتعرز بتحد أكبر.
يلوح لبيلي الذي يرد على التلويح بحرارة من
نافذة الزنزانة.
وبتصميم، يقفز هنري من المنصة ويسير
إلى جناح المسرح صوب صوت قرعات
طباله الخاص والمختلف.
لا تسدل الستائر. لا تطفأ الإضاءة، إنما
يزداد سطوعها.
وخلال ذلك يعلن نهاية المشهد. وبينما
يغادر النظارة المسرح، يتزايد إيقاع طبل
هنري غير النظامي والمميز قوة ويردد ذلك
(الصدى)

انتهت

المترجم

في

سطور

حسن كامل بحري

- سوري الجنسية، من مواليد ١٩٥٥.
- حاصل على دبلوم في الترجمة من معهد اللغات في لندن، المملكة المتحدة.
- حاصل على ماجستير في الميكانيك من أوكرانيا.
- عضو في منظمة «كتاب في المهجر»، في المملكة المتحدة.
- ترجم عدة كتب من الإنجليزية إلى العربية، ومنها:
- الهويات المتعددة للشرق الأوسط، للمؤرخ برنارد لويس.
- نصف حياة، رواية للروائي ف أس نايبول.
- الخروج من جنة عدن من أجل أن نحمي الأرض ونتدبر شؤونها ليوان جورج نيسبت.
- كما ترجم العديد من المقالات الفكرية والبحوث ونشرت في دوريات وصحف عديدة.
- نشر مجموعة قصصية باللغة العربية.

د. محمد مبارك بلال

- من مواليد الكويت.
- يعمل أستاذا بالمعهد العالي للفنون المسرحية، وشغل منصب عميد المعهد العالي للفنون المسرحية الأسبق.
- انتدب للعمل بوظيفة مستشار بسلسلة «من المسرح العالمي» من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٨.
- ترجم لسلسلة «إبداعات عالمية» مسرحيتين من الأدب النيجيري هما: «آرنجندين والحارس الليلي» و«النيران تخدم وتشتعل بقسوة» للكاتب فيمي أوسوفيسان في العدد (٣٤٢) من السلسلة.

المراجع

في

سطور

إصدارات قادمة

مختارات من الشعر الإيراني الحديث
تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
ترجمة: أ. موسى بيدج
مراجعة: أ. عبدالقادر عقيل
(ترجمت عن الفارسية)

العقرب.. وقصص أخرى
تأليف: بول بولز
ترجمة: محمد هاشم عبدالسلام
مراجعة: د. سليمان الرباع
(ترجمت عن الإنجليزية)

ملحمة علي الكاشاني	317
نون والقلم	318
سيرى سامبيجي	319
أيام بورمية	320
ست وصايا للألفية القادمة	321
السكرتير الخصوصي	322
قصص برازيلية	323
البرازيليين	
شذرات من خطاب في العشق	324
لون الماء	325
وجهان لحواء	326
المنزل ذو الشرفات السبع	327
من الأدب الباكستاني الحديث	328
مختارات من القصة التركية	329
المعاصرة	
الأتراك	
مسرحية محكمة العدل في بلخ	330
مطبخ - خيالات ضوء القمر	331
الطباخون الأشرار	332
الجرة المكسورة	
شمل تشابه ضائع	333
حكايات الهنود الأمريكيين	334
و أساطيرهم	
زهرة الصيف	335
اليابانيين	
طام - طام زنجي	336
الليبروح	337
منزل النور	338
كتابان النمل في السافانا	339
أناطول وجنون العظمة	340
غرام ميتيا	341
آرنجندين والحارس الليلي	342
ورقة في الرياح القارسة	343
مدرسة الدكتاتور	344
رسائل عيد الميلاد	345
حكايات وخرافات أفريقية (1)	346
الطفل الملك	
مسرحية عذراء أورليان	347
حكايات وخرافات أفريقية (2)	348
الأغال والسهول العشبية تحكي	
القصة القصيرة الإسبانية أمريكية	349
تأليف : خلدون طائر	
تأليف : جلال آل أحمد	
تأليف : تشاندرا سيخار كامبار	
تأليف : جورج أورويل	
تأليف : ايتالو كالفيو	
تأليف : ت. س. إليوت	
تأليف : مجموعة من القاصين	
تأليف : رولان بارت	
تأليف : جيمز ماكبرايد	
تأليف : أمريتا بريتام	
تأليف : اليخاندرو كاسونا	
تأليف : مجموعة من القاصين	
تأليف : مجموعة من القاصين	
تأليف : بهرام بيضائي	
تأليف : بنانا يوشيموتو	
تأليف : جوتتر جراس	
تأليف : هاينرش فون كلايست	
تأليف : أندريه شديد	
تأليف : فلاديمير هلباتش	
تأليف : مجموعة من القاصين	
تأليف : ليوبولد سيدار سنغور	
تأليف : نيكولو ماكيافلي	
تأليف : جوهر مراد	
تأليف : تشنتوا أشيبي	
تأليف : أرتور شنيتسر	
تأليف : إيفان بونين	
تأليف : فيمي أوسوفيسان	
تأليف : تنغ - هستغ يي	
تأليف : إيريش كسترن	
تيد هيوز	
تأليف : سليمان جيغو ديوب	
تأليف : فريدريش شيلر	
تأليف : سليمان جيغو ديوب	
تأليف : مجموعة من القاصين	

ما صدر من هذه السلسلة

المتحدثين بالأسبانية	في القرن العشرين	350
تأليف: وول سوينكا	مسرحيتا: 1- محنة الأخ جبرو	
	2- تحول الأخ جبرو	
تأليف: أو. هنري	روض الأدب (مختارات قصصية)	351
تأليف: ب. بريشت	مسرحية «آنتيجون»	352
تأليف: هنري برونل	أجمل حكايات الزن	353
	يتبعها فن الهايكو	354
تأليف: لاوشه	مسرحية «المقهى»	
تأليف: برايان فرييل	مسرحيتا: 1- صناعة تاريخ	355
	2- ترجمات	
تأليف: ج. م. كويتيتزي	رواية «الشباب»	356
تأليف: مجموعة من الشعراء	مختارات من الشعر المجري	357
المجريين	المعاصر (شعراء السبعينيات)	
تأليف: إيجون وولف	مسرحيتا: 1- تلاميذ الخوف	358
	2- الغزاة	
تأليف: وليام سارويان	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	359
تأليف: مجموعة من القاصين	حامل الإكليل (قصص مختارة)	360
المتحدثين بالألمانية		
تأليف: سيلافومير مروچيك	الصُورة (مسرحية)	361
تأليف: تحسين يوجل	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول	362
	(رواية)	
تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي	سبع مسرحيات ذات فصل واحد	363
أندجي ماليشكا	(من بولند)	
ستانيسلاف ليم (ستانيسواف)		
سوافومير مروچيك		
تأليف: مجموعة من القاصات	سبع نساء... سبع قصص	364
الفارسيات		
تأليف: نويل كاورد	زمن الضحك	365
	(ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	
تأليف: رُوبين دايشيد	بالأبيض على الأسود	366
غونساليس غالغو	(رواية)	
تأليف: تيان هان	مسرحيتا: 1- سهرة في المقهى	367
	2- موت ممثل مشهور	
تأليف: مايكل هلمان	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها»	368
	سيرة حياة	
تأليف: ييجي شانيفسكي	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	369
تأليف: بول أستر	ليلة التنبؤ (رواية)	370
تأليف: نويل كاورد	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	371
تأليف: أمادو همباطي با	لا وجود لخصومات صغيرة	372

قسمة الاشتراك

البيان		إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
		د.ك.	دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	دولار	د.ك.	دولار
المؤسسات داخل الكويت		٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت		١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي		٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي		١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى		-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى		-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي		-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي		-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدًا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠٢م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

أسماء وكلاء التوزيع

الأردن:

وكالة التوزيع الأردنية
عمان ص.ب ٣٧٥ عمان - ١١١١٨
ت - ٥٣٥٨٨٥٥ فاكس (٩٦٢٦) ٥٣٣٧٧٣٣

البحرين:

مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف
ص.ب ٢٢٤ / المنامة - البحرين
ت ٢٩٤٠٠٠ - فاكس (٩٧٣) ٢٩٠٥٨٠

عمان:

المتحدة لخدمة وسائل الإعلام
مسقط ص.ب ٣٣٠٥ - روي الرمز البريدي ١١٢
ت ٧٠٠٨٩٦ - فاكس ٧٨٨٣٤٤ - ٧٠٦٥١٢

قطر:

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع
الدوحة ص.ب ٣٤٨٨ - قطر
ت ٤٦٦١٦٩٥ - فاكس (٩٧٤) ٤٦٦١٨٦٥

فلسطين:

وكالة الشرق الأوسط للتوزيع
القدس/ شارع صلاح الدين ١٩
ص.ب ١٩٠٩٨ ت ٢٣٤٣٩٥٤ فاكس ٢٣٤٣٩٥٥

السودان:

مركز الدراسات السودانية
الخرطوم ص.ب ١٤٤١ ت ٤٨٨٦٣١ (٢٤٩١١)
فاكس ٣٦٢١٥٩ (٢٤٩١٣)

نيويورك:

MEDIA MARKETING RESEARCHING
25 - 2551 SI AVENUE LONG ISLAND CITY
NY - 11101 TEL - 4725488
FAX 1718 - 4725493

لندن:

UNIVERSAL PRESS MARKETING LIMITED
POWER ROAD. LONDON W 4SPY
TEL 020 8742 3344
FAX: 2081421280

الكويت:

شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع
شارع جابر المبارك - بناية التجارية العقارية
ص.ب ٢٩١٢٦ - الرمز البريدي ١٣١٥٠
ت ٢٤٠٥٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠ / ١١ فاكس ٢٤١٧٨٠٩

الإمارات:

شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
دبي، ت: ٩٧١٤٢٦٦٦١١٥ - فاكس: ٢٦٦٦١٢٦
ص.ب ٦٠٤٩٩ دبي

السعودية:

الشركة السعودية للتوزيع
الإدارة العامة - شارع الملك فهد (الستين سابقا) - ص.ب ١٣١٩٥
جدة ٢١٤٩٣ ت ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٣٣١٩١

سورية:

المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
سوريا - دمشق ص.ب (٩٦٣١) ١٢٠٣٥
ت - ٢١٢٧٧٩٧ فاكس ٢١٢٢٥٣٢

مصر:

مؤسسة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء رقم ٨٨ - القاهرة
ت - ٥٧٩٦٣٢٦ فاكس ٧٧٠٣١٩٦

المغرب:

الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر والصحافة (سبريس)
زنقة سجلماصة الدار البيضاء ٧٠
ت ٢٢٢٤٩٣٠٠ فاكس (٢١٢) ٢٢٢٤٩٣١٤

تونس:

الشركة التونسية للصحافة
تونس - ص.ب ٤٤٢٢
ت - ٣٢٢٤٩٩٩ فاكس - ٣٢٣٠٠٤ (٢١٦٧١)

لبنان:

شركة الشرق الأوسط للتوزيع
ص.ب ٦٤٠٠/١١ بيروت ١١٠٠١/٢٢٢٠
ت - ٤٨٨٨٨٢ فاكس (٩٦١١)

اليمن:

القائد للتوزيع والنشر - ص.ب ٣٠٨٤
ت - ٣٢٠١٩٠١ / ٢ فاكس ٣/٣٢٠١٩٠٩

سلسلة إبداعات عالمية

«إبداعات عالمية» سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكانت في السابق تصدر - شهريا - عن وزارة الإعلام تحت اسم سلسلة «من المسرح العالمي» حتى بعد انضمامها إلى المجلس الوطني عام ١٩٩٤، وكانت تعنى بنشر المسرحيات العالمية فقط.

وقد صدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر ١٩٦٩، تحت عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم»، تأليف: مانويل جاليتش، وبعد تغيير مسمائها إلى سلسلة إبداعات عالمية عام ١٩٩٨، أصبحت تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من لغات مختلفة، وتتعلق أهداف السلسلة (إبداعات عالمية) من فلسفتها في نشر الوعي الثقافي القائم على التراث الإنساني، من خلال نشر وتقديم ترجمات رصينة من الآداب العالمية، من روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ومسرحيات... وغيرها، من لغاتها الأصلية، بهدف تزويد المكتبة العربية بآثار هذه الثقافات المختلفة.

وترحب السلسلة باقتراحات النشر والترجمة المقدمة من المتخصصين، على أن تكون وفق الشروط التالية:

١- أن تكون المادة المقترحة ترجمتها مميزة في المستوى الفكري والأدبي الرفيع، ولم يسبق نشرها في أي مكان آخر.

٢- يجب ألا يزيد حجم المادة على ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدواه.

٣- يجب تقديم النص الأدبي المقترح نشره، أو ترجمته مع الكتاب في لغته الأصلية، ويرسل مطبوعاً على الآلة الكاتبة مع وضع نسخة من النص المترجم في ديسك أو CD، مع تدوين أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة.

٤- السلسلة غير مسؤولة عن إعادة الكتب الأجنبية والنصوص الأصلية أو المترجمة التي لا يتم قبولها.

٥- المواد المقدمة للنشر أو الترجمة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري من قبل هيئة تحرير السلسلة، ويجري إرجاع النصوص إلى أصحابها لإجراء التعديلات أو الإضافات اللازمة عليها قبل نشرها، كما يجب ألا تحتوي النصوص على عبارات منافية للدين أو الأخلاق. وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع المترجم للنشر تصرف مكافأة للمترجم بمعدل ٢٠ فلساً عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي.

وفي جميع الحالات ينبغي إرسال سيرة ذاتية وافية (C.V) للمترجم، تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه الأدبي السابق، وعنوان المراسلة التقليدي والإلكتروني، واسمه الثلاثي باللغة الإنجليزية حسب جواز سفره، بالإضافة إلى كتابة اسم البنك الذي يتعامل معه ورقم حسابه الذي ستحول المكافأة عليه.

الفهرس

5 المقدمة
11 نبذة عن المسرحية
17 ملاحظات كاتبى المسرحية حول إنتاجها
19 نبذة عن كاتبى المسرحية
21 كلمة لابد منها
23 مقدمة المترجم
31 الشخصيات
33 ثور والراهن
37 الفصل الأول
133 الفصل الثانى



المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

« الليلة التي أمضاها ثورو في السجن » (مسرحية)

تتناول هذه المسرحية حالة العصيان المدني الأول في التاريخ الأمريكي وربما الأكثر شهرة - رفض ثورو دفع ضريبة الرؤوس، وهي ضريبة تفرض على كل شخص بالغ - في عام ١٨٤٦، واللييلة التي أمضاها ثورو في السجن بسبب هذا الرفض.

يمثل مشهد السجن إطارا عاما لتلك الفترات المملوءة بالأحداث من حياة ثورو، من علاقته بالشاعر إمرسون، إلى اعتكافه للتأمل على ضفاف بحيرة والدين، وقضية حبه غير الموفق. وكما يقول مؤلفا هذه المسرحية لورنس ولي: إنها حكاية الترحال الطويل لروح إنسان خلال ليلة واحدة، من اعتكافه وتتكافه حتى انضمامه من جديد إلى الجنس البشري، إنها نشوة وعاطفة وتجوال. دفاع عن المعارضة اللاعنافية وبحث عن الحقيقة الشخصية. ويعد دافيد هنري ثورو بطلا شعبيا بين شباب اليوم، فلقد صرخ ضد الحرب وضد تلويث الطبيعة وسطوة المادية. كانت تلك الليلة التي أمضاها ثورو في السجن تجربة صوفية غامضة بالنسبة إلى هذا الرجل ذي الحساسية البالغة، فبينما كان يرزح في السجن كانت له حرية استكشاف ذاته الحقيقية، وحقيقة تجاربه، بالإضافة إلى الماضي واستشراف المستقبل. وهذه التجربة هي نوع من الوجد (العاطفة)، والكشف والتخليص لحياته على المنحنى الزمني الذي يبدأ بغروب الشمس وينتهي بشروقها.

ثورو الذي تقدمه هذه المسرحية ليس ذاك الرجل الملتهب، ذي العينين المتعبتين، الذي نراه هذه الأيام على الطوابع البريدية، بل هو هذا المعاصر المتألق، حليق الذقن، المفعم بالنشاط والنقمة على جنون حضارته وتفاهتها من حوله. وغرض هذه المسرحية الوصول إلى أعظم من الكلمات التي كتبها: لسبر الاضطراب العظيم الذي غرف كلماته منه.

ويشبه رفض ثورو دفع الضريبة - لدعم ما كان يعده حربا لأخلاقية (الحرب مع المكسيك) - إلى حد كبير صرخات شباب اليوم في أمريكا والعالم أجمع.

إن هذه المسرحية هي المسرحية الثالثة عشرة التي أنتجها جيروم لورنس وروبرت إي. لي.